

(١) الحالة الحاضرة وأثرها في الناس

« النقط الجوهرية التي في الموضوع »

السنة الالهية في الناس صلاحاً وفساداً . تطبيق الحالة الحاضرة على السنة الالهية لمعرفة الحقيقة . زيادة طغيان الناس بمحاربة بعضهم بعضاً . نزول هذه العبر بالناس بمنزلة كلام من الله لهم ، علاج الحالة الحاضرة ، الانابة الى الله احتماء به وعمل بكتابه وسنة رسوله ، دفاع الله عن المؤمنين ودليل ذلك من الكتاب ، خاتمة الموضوع :

قال الله تعالى : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . وما لهم من دونه من وال :

جرت سنة الله تعالى في عباده أن يصلح أحوالهم إذا صلحت قلوبهم وأعمالهم ، وأن ينزل بهم بأسه وعذابه إذا فسدت قلوبهم وأعمالهم : فتستطيع الناس أن تعرف منزلتها عند الله تعالى من حالها في الدنيا ، فهل نحن في أمن وسعادة ورخاء ؟ أم نحن في شقاء وتعب وبلاء ؟ اللهم إن كانت الأولى فقد رضى عنا الله تعالى . وإن كانت الثانية فالويل ثم الويل لنا :

نرى أننا الآن في شقاء وعناء ، وخوف وبلاء ، الأمراض تحيط بنا ، وويلات الحرب تهددنا في أوطاننا ، وكساد الحال ينزل بمحصولاتنا حتى لانكاد نوفي جزءاً مما علينا من الديون ، وأخلاقنا لاتقل عن حالنا فساداً : قلوب متقاطعة . ونفوس متقاطعة ، وبلاء مستحكم وشر مستطير ، وعذاب كبير : ومن هذا نعلم أن الله تعالى لم يسلط علينا كل هذا إلا لأننا قد تغيرت قلوبنا ، وبعدنا عن ديننا . وفرطنا في أوامر الله فحاق بنا جزاء ما جنته أيدينا . وما الله بغافل عما يعمل الظالمون :

ومن غريب الأمر أننا لم نكتف بما أنزل الله علينا من البلاء ، بل نزيد عليه أن يقوم بعضنا بمحاربة بعض ، وأن يكيد بعتننا لبعض بوسائل ينسكرها الدين ، وتتراها منها الكرامة والشرف : وكان الواجب أن نعتبر ونزدجر بما نحن فيه ، ونعمل على الخلاص منه وتلافيه ، فإن الله تعالى يكلمنا بلسان الحوادث والعبر التي ينزلها بنا ، لعلنا نستيقظ من سباتنا ، وننتبه من غفلتنا ، فهل من مذكر ؟ ! بلغت الشدة منهاها ، واستفحل الداء ، ولكنه والحمد لله لم يعجز الدواء ، لأن صلاح حالنا ، لا يزال في أيدينا : فإن نحن رجعنا إلى الله وطهرنا قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، واعتبرنا أنفسنا إخواناً مخلصين ، وتواصينا بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وتجميلنا بفضائل الدين وآدابه ، إن نحن رجعنا إلى ذلك كله فلا يمضي زمن يسير حتى تشرق علينا شمس السعادة ، وترفع عنا تلك النوازل السماوية ، من غضب وآفات ، وبلاء وويلات ، ونعافي من تلك الأمراض التي تهدد حياتنا وحياة أبنائنا ، كما نأمن على أوطاننا من شرور أعدائنا . لأننا بتلك الانابة نكون مؤمنين حقاً ، والله تعالى يقول : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور »

فهاهوا بنا تتدارك أمرنا بالرجوع إلى ديننا ، فالأسر جد وليس بعدما نحن فيه شدة :

فلنتخذ من رضوان الله ملجأ نتقي به شر الزمان ، وشر عدوان الأعداء وشر أنفسنا : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً »
وفقنا الله تعالى إلى ما فيه صلاح حالنا ، في ديننا ودنيانا ،
إنه على كل شيء قدير .



(٢) الحرب من النذر الالهية للناس

مضمون الآية الكريمة : — استحقاق العالم للعقوبة جزاء لهم على نسيان الله والتشاغل بالدنيا ، وصف شقاء الشعوب الاسلامية وغيرها بالحرب الحاضرة .
خوف الناس من الحرب وعدم خوفهم من الله ، بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا وما فيها من أهوال الحروب ، الحرب نذير من نذر الله في طيها خير للناس .
السلامة في التضرع والفرار الى الله تعالى :

قال الله تعالى : أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ،
أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين .
أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم :
... في هذه الآية الكريمة ينمى الله على العصاة الذين يجترحون السيئات
ويرتكبون المنكرات ، ويعيشون في الأرض فساداً ، ينمى عليهم ذنوبهم ويقول :
هل آمن هؤلاء الماكرون المارقون من الدين عذاب الله ؟ وهو قادر على أن
يخسف بهم الأرض كما فعل بمن قبلهم من المذنبين الظالمين ، أو يفرغ عليهم
عذاباً آخر من حيث لا يشعرون به ، أو تتخطقهم يد القدرة وهم ينتقون في
أسفارهم ، ويسعون في مصالحهم ، أو يأخذهم على مخافة بأن يهلك قوماً قبلهم
فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون . أو على أن ينقصهم شيئاً بعد
شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته إذا تنقصته : فقدره الله
محيطه بهم لا يفلتون منها ولا يعجزون الله هرباً .

كذلك هو قادر على أن يسلط عليهم الفناء والنقص بأسباب انتشار
الأمراض الفتاكة أو الحروب الطاحنة التي لا تبقى ولا تذر : وها هي قد حقت

كلية العذاب على النوع الانساني فسلط الله الشعوب بعضها على بعض وألهمهم
جلت قدرته أن يخترعوا آلات جهنمية تحصد الأرواح حصداً ، وتصب النيران
صباً ، فترمل النساء ، وتيتم الأطفال وتخرب الممالك ، وسلط على بعضهم الجوع
والقحط ونقص الثمرات ، وغلاء الحاجيات ، حتى يشعر الناس بأن وراءهم إلهاً
قادراً بيده مقاليد أمورهم من سعادة وشقاء ، وقحط ورخاء .

وها نحن أولاء نرى أن كل بقعة من بقاع الأرض تلهب ناراً ويشقى فيها
أناسي كثيرون : وقد عمت المصائب فشملت الصالح والطالح ، لأن الصالحين لم
يأخذوا على يد المنفسدين . فعمهم البلاء :

قال الله تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . واعلموا أن
الله شديد العقاب .

ومن عجيب أمر الناس أنه كلما اشتد خطر الحرب واتسعت رقعة الفناء
ازداد خوفهم وفزعهم حرصاً على حياتهم وحياة أهليهم وأبنائهم . واشتد تعلقهم
بأهداب الدنيا : وكان الأولى بهم أن يشتد خوفهم من الله تعالى واليوم الآخر .
فما بالهم كانوا يستهينون بنصح الناصحين . وإرشاد المرشدين ولا يسمعون إلى
منادي الدين !!

مابالهم حين رأوا نار الدنيا مشتعلة خافوا وفزعوا !! وأين هذا الهول من
هول يوم القيامة ؟ وأين ذلك البلاء من بلاء الآخرة ؟ ! وقد أراد الله بالناس
خيراً فأراهم شيئاً يخيفهم وهم في الدنيا ليرجعوا إلى ربهم تائبين فادمين ،
وليتضرعوا إليه تعالى بصفاء القلوب أن يكشف عنهم بلاءه وعذابه :

قال تعالى : « فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ولكن قست قلوبهم وزيين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فالفرار الفرار الى الله ، النجاء النجاء . فما نحن فيه الآن إرهاب
وتخريف من الله .

فحق على المسلمين أن ينتفعوا بآيات الله ، وزواجر الله ، ويخلصوا نياتهم
في طاعة الله . عسى الله أن يكف بأس الموقدين لهذه الحرب عنهم ، وعسى أن
يكلأهم بعنايته ، ويرعاهم برعايته : فاذا لم يزدجروا ولم يؤوبوا الى ربهم فسوف
يكونون لهذه النيران حطباً : وما ظلمهم الله . ولكن أنفسهم يظلمون .

(٣) الإصلاح بين الناس

الاسلام نعمة . تعريف الأمة . المنافسة ضرورية في الاجتماع . فائدة
إصلاح ذات البين . خير أنواع الصلح . بيان أن التقاضي لا يحسم النزاع ولا
تصنع به القلوب . النقلة ووجوب التثبت من أخبارهم شرعاً . أهم الوسائل التي
تصنع بها القلوب :

قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة . فأصلحوا بين أخويكم . واتقوا
الله لعلكم ترحمون)

اعلموا معشر المسلمين أن الله تعالى قد اختار لكم الاسلام ديناً ، وأرشدكم
بفضله الى طريق الهدى وأخرجكم من الظلمات الى النور : ولا ريب أن كل جماعة
يسكنون بقعة من بقاع الأرض ترتبط مصالحهم ببعضهم ببعض ، وتدعو ضرورة
المعيشة الى اشتراكهم في كثير من الشؤون : وكثيراً ما يجر ذلك الى الشحناء
والمنافسة ، فتنشأ المشاكل العديدة ، والعداوات والمشاكسات ، ويتبع ذلك
العدوان وسلب الأموال وقتل الأنفس : الى غير ذلك مما يهدد الأمنين .
ويحزن العاقلين :

ولذلك أوجب الدين الخفيف على العقلاء من القوم أن يتوسطوا بين المتخاصمين ، ويقوموا بإصلاح ذات بينهم ، ويلزموا المعتسدي أن يقف عند حده ، درءاً للمفاسد المترتبة على الخلاف والنزاع ، ومنعاً للفوضى والخصام : وخير أنواع الصالح ما يقوم به الأفراد أنفسهم من غير حاجة لأن ياجأوا إلى المحاكم والتقاضى ، فإن الفصل في المنازعات وإن تم على يد القضاء لا يغسل أحقاد القلوب ، ولا يطهر أدران النفوس غالباً . بل كثيراً ما يكون سبباً في تفاقم الشر وزيادته . لاسيما إذا خرج الظالم من بين يد القضاء منصوراً . وخرج المظلوم مخذولاً متهوراً ، بسبب شهادات ملفقة ممن لا يخافون الله ، أو ضعف المضالم إذا كان فقيراً عن مقاومة الظالم إن كان غنياً : أو غير ذلك من العائل المعروفة ، والأسباب التي فشت وأصبحت مأنوفة :

ولما كان أكثر النزاع بين الناس مسبباً عن وشايات أرباب المفاسد وسعائيات سيئتي المقاصد ، أوجب الدين الخفيف على المسلمين أن يتثبتوا من صحة ما ينقل إليهم من الأخبار ، وألا يأخذوا قول الناقلين بالتسليم والتصديق : قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

فالتثبت من صحة الأخبار أمر لا يد منه لضعف النوازع الدني في النفوس من جهة ، وغلبة سلطان الهوى عليها من جهة أخرى : فتسارع إلى التصديق بما تسمع . ويترتب على هذا فساد الضمائر ، وتعكير صفو المجتمع الإنساني : ويحرج ذلك إلى التقاطع والتدابير ، والتخاذل والتناكر : ومن أجل هذا كانت إزالة الشحنة من نفوس المسلمين والعمل على صفاء قلوب بعضهم لبعض من أهم المقاصد التي يبحث عليها الشارع الحكيم ، ويترتب عليها الثواب العظيم :

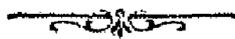
إستمع إلى الرسول الكريم ﷺ وهو يعظم شأن إصلاح ذات البين ، ويعده
أعظم عمل يتقرب به المسلمون إلى ربهم : إستمع الى ذلك لتعلم أن الدين الاسلامي
سلام ووئام ، لا تقاطع وخصام ، فقد ورد : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ . ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟
قالوا بلى . قال : إصلاح ذات البين . فان فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول
تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين .

وما حض الله ورسوله على إصلاح ذات البين والتوفيق بين مصالح المسلمين
إلا لما يترتب على ذلك من سعادتهم وإصلاح أمرهم : فان الناس إذا ائتلفت وحل
في قلوبهم الوئام محل الخصام ، أفاض الله عليهم بركاته ، وأسبغ عليهم نعمه
ظاهرة وباطنة :

وأقوم الوسائل التي تصفوا بها القلوب من أحقادها ، أن يجعل كل امرئ
نفسه ميزاناً بينه وبين الناس ، فإي حبه لنفسه يحبه لهم ، وما يكره لنفسه يكرهه
لهم : وبذلك يحبه الله تعالى ومن أحبه الله التي محبته في قلوب عباده فيكونون
له أعواناً :

هذه هي الطريقة التي كان عليها السلف الصالح من المسلمين ، وكانوا بسبب
ذلك من المفلحين .

نسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والبغضاء لعباده ، إنه هو
البر الرحيم .



(٤) عيوب كثير من الناس

مضمون الآية الكريمة . بعد المسامين عن دينهم . بعض العقوبات التي أنذر بها القرآن الكريم والسنة المطهرة . المارقون من الدين (ذو الوجهين ، وذو اللسانين ، وشهداء الزور ، وكأتموا الشهادة ، والنمامون ، والخائنون الذين لا يؤتمنون على مال أو سر ، والمتسترون على الخونة ، وأكلة الحرام ، والعيابون والكذابون ، والمنافقون ، وقساة القلوب المطبوع على بصائرهم) ما يجب على المسلم لنفسه إزاء هذه العيوب :

قال الله تعالى : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فان توليتم فاعلموا أننا على رسولنا البلاغ المبين :

يطالبنا الدين الحنيف بلسان القرآن الكريم بطاعة الله تعالى فيما أمر به ، ونهى عنه ، واتباع نبيه ﷺ في أخلاقه وسنته ، ويحذرننا من المخالفة :

ويعلم الله أننا قد أصبحنا وليس لنا من الإسلام الا اسمه ، ولا من الدين إلا رسمه :

أما اتباع الأوامر واجتناب النواهي ومتابعة النبي الكريم في أخلاقه وسنته فلا حظ لنا في شيء من ذلك ، بل يكاد يكون الإسلام ديناً لغيرنا ونحن غرباء عنه : فكم أرشد المرشدون ، ووعظ الواعظون ، حتى بحت الأصوات بمطالبة المسامين بالرجوع إلى دينهم ، ولكن لا حياة لمن تنادي :

وما كان تحذير الله لنا عبثاً ، فقد أنذرننا بأننا إن خالفنا شريعتنا تعرضنا لأنواع العقوبات التي ذكرها القرآن الكريم ، والسنة المطهرة . وفيهما ما نحن

فيه من هذا البلاء الدائم ، والشقاء الدائم :

تقص في الثمرات حتى كادت الأرض تضن بخيراتها وغلاتها ، فنقصت
الحاصلات الزراعية نقصاً محسوساً يهدد بالمجاعات ، وأصيبت الأمم الإسلامية
بالرعب من تسلط الأعداء ، مما يهدد بالخراب والدمار . والفناء والتلاشي :
وهاهي ذي الأمراض تفتك بنا فتكا ذريعاً . والأعداء تتحكم فينا وتستعبدنا .
والزاياء على اختلاف أنواعها تجل بنا فلا نطيق لها دفعاً .

نعم بعدنا عن الدين بعداً شاسعاً . فأكثرنا من ذوي الوجوهين الذي يقابل
هذا بوجهه . وذاك بوجه آخر .

وفينا ذو اللسانين . يتكلم مع هذا بلون من الكلام . ويتكلم مع ذلك
بلون آخر . ولا يبالي بمخالفة دين ولا ضمير :

وفينا شهداء الزور الذين يخلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون .
ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . والله أعلم بما يسكتمون :

وفينا من يكتمون شهادة الحق إذا دعوا إليها . يخافون الناس ولا يخافون
الله : وهؤلاء قد برىء الدين منهم . وبرئت الأخلاق من شرهم . والله تعالى
يقول : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط . شهداء لله ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين . إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما . فلا تتبعوا
الهُوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً :

وفينا النمامون أصحاب السعيات بين الناس بالفساد . إذا شعروا بخلاف شجر
بين رجلين . أسرعوا باختلاق الكذب إلى المختلئين فأوقدوا نار الفتنة بينهما
بدل أن يعملوا ما أمر به الدين من الإصلاح وتهذيب الخواطر ، كأنهم لم يسمعوا

قول الله تعالى : « إنا المؤمنون إخوة . فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » وقوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصلاهما بينهما »

وفينا الخائنون الذين لا يؤمنون على مال ولا سر : سارقون مارقون من الدين . يظنون أن الله غافل عما يعملون . والله من ورائهم محيط :

وفينا شر من هؤلاء جميعاً . وهم الذين يعرفون سر تكبي الجرائم ولا ينصحونهم ولا يقفونهم عند حدهم . أولئك يوشك الله أن يعذبهم بسلاء جزاء على السكوت على هتك حرمة الله . والله جل شأنه يقول « واتقوا فتنة لا تصيبن الدين ظلموا منكم خاصة . واعلموا أن الله شديد العقاب »

قليلتنبه المسلمون قليلا بمنذر لهم أن يقول الرجل منهم . مالي ولاناس . بل ليعلم أنه مسئول عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأن ذلك واجب على الكفاية يأثم الجميع إن أهملوه .

وفينا أكلة الحرام . الذين لا يباليون من أي ناحية ملثوا بطونهم . ولا من أي ناحية كسبوا أموالهم . يفعلون ذلك وهم يعلمون أن كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به . ألا ساء ما يأكلون .

وفينا العيابون الذين لا يسلم من ألسنتهم أحد . فهم مولعون بعيوب الناس مع أنهم كلهم عيوب .

وفينا الكذابون الذين يفترون الكذب اختراعاً لأغراض سيئة ينكرها الذين . ولا يرضاها رب العالمين .

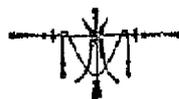
وفينا المنافقون الذين يخالف ظاهرهم باطنهم . وهؤلاء قد يصل النفاق

إلى عبادتهم . فهي رياء في رياء . لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً — ولا قليلاً ولا كثيراً .

وفينا غلاظ الأكياد الذين تحجرت قلوبهم . وصمت آذانهم عن النصائح . فلا يكثرثون بالمواعظ . ولا يقيمون وزناً لأداب الدين . أولئك طمس الله على قلوبهم . وتركهم في ظلمات لا يبصرون .

وفينا غير هؤلاء وهؤلاء ممن يتولى الله هدايتنا وهدايتهم . فمن يهد الله فما له من مضل . فليفكر كل واحد منا في حقيقة أمره . فإن وجد فيه نقصاً دينياً فليتدارك أمره وليستن بالله على إصلاحه . وإن وجد خيراً حمد الله وازداد طاعة وإخلاصاً . فوالله ما بعد الموت من مستعجب . وما بعد هذه الدار إلا الجنة والنار .

أعاننا الله تعالى على إصلاح أنفسنا وتقويم أعوجاجها . فقد أفلح من زكاه وطهرها بالطاعة . وقد خاب من دساها ودنسها بالمعاصي . وإلى الله عاقبة الأمور .



(٥) الأضرار بالناس

الأضرار بالناس وجزاؤه وسببه . جزاء الظالمين حم وإن أمهلوا . دليل ذلك من السنة . مثل في الأيذاء والأضرار . تقليع الزرع . تسميم المواشى . المحاربة بالنار . السرقة . التحذير من الأضرار بالناس .

قال الله تعالى « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإعماً مبيناً » .

اعلموا أن الأضرار بالناس مستوجب لغضب الله تعالى . ومستنزل سخطه على المؤذى .

وسبب ذلك أن الله تعالى خلق الدنيا لحكمة لا تدركها الأفهام . وجعل العدل بين الناس نظامها . وأحكام الشرائع قوانينها . فمن خالف ذلك فهو من الخاسرين .

حق على الله تعالى أن يقصم ظهر المؤذى خلقه وأن يقهره . لأنه استهان بربه . والعالمون عبيد الله ، وهو أغبر عليهم . وحاشا أن يجترى أحد على عبيد رب الأرباب . ويترك بلا عقاب . على أن من يضر أذى الخلق حق على الله تعالى أن يسلط عليه صنوف المهانة والخسران . فإن ربكم عزيز ذو انتقام .

محال أن يقات مؤذ للناس من غضب الله وعذابه فهما أمهل من جانبه . فإن الله تعالى يعزل الظالمين ولا يهملهم . ولذلك قال رسول الله ﷺ « إن الله لم يخلق للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » جعل ذلك انتقاماً منه على بغيه وظلمه . وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

ونسوق إليك على سبيل التمثيل أنواعاً من الأضرار التي يأتيتها بعض من
لاخلاق لهم من الناس ، إذ أن إحصاء خواطر هذه النفوس الشريرة وتفنتها في
أنواع الآثام ، لا يتسع إليه هذا المقام .

فإنها تقليب الزرع ، وذلك يحصل عادة إذا اشتجر الخلاف بين أسرتين من
سكان (القرى) إحداهما أضعف من الأخرى ، أو مساوية لها في البطش والقوة
ولا سبيل إلى أن تواجهها الشر علانية ، فتعمل على الأضرار بها خفية : فينبري
شريراً من أفرادها ، وغالباً ينضم إليه فريق على شاكلة ومن أنصاره ، ويعمدون
إلى الزرع - وقد نبت وترعرع وأصبح يرجى خيره - فهبطون عليه ليلاً .
ويقتلعونه اقتلاعاً ثم يفرون تحت جناح الظلام .

ومنها تسميم الماشية حيث يعمد الأشقياء إلى تقديم مادة سامة تأكلها
الماشية فينزل بها الموت بعد أن تذوق من الآلام أمرها ، فتصعد روحها شاكية
إلى خالقها من ذلك الطفيلان الأثيم ، والعذاب الأليم .

كذلك مما يأتية هؤلاء الفجرة الآثمون من أنهم يؤذون الناس بوسيلة
لا يقف ضررها عند حد ، بل ربما تعدى الضرر إلى من لا ذنب له ولا جريرة ،
وهذه الوسيلة هي النار ، فتارة يشعلونها ويرمون بها في الغلال وهي في غيظانها
أو بعد حصادها ، وتارة يضعونها في بيوت أعدائهم : فإذا اندلع لهيبها واتسع
مداهها وساعدتها الرياح أكلت الحرث والنسل . وأتت على البلد جميعه من
بريء وأثيم .

ولا ننسى أن النار التي أشعلها هؤلاء المأفونون ، قد أكلت فيما أكلت
أفوات الناس وما ادخروه لمعاشهم : وقد تلثمهم أطفالاً صغاراً ، وشيوخاً كباراً
عاجلتهم فلم يجدوا إلى النجاة سبيلاً .

ومنها خطف الأطفال ، بل وخطف الرجال أيضاً . وهذا نوع من الجرائم والاضرار بالناس فشا وانتشر في البلاد . تنشره الصحف اليومية كثيراً . وتبذل فيه الحكومة المصرية عناية كبرى لضبط العصابات التي تتألف من أسرار الناس لارتكاب هذه الجريمة .

ومن ضروب الأثم والاضرار بالناس السرقة . وهي سلب مال الغير من غير حق شرعى ، وآفة السرقة أكثر الجرائم وجوداً ، وأكثرها انتشاراً : والسرقة عمل أنكرته كل الشرائع ، وذمه كل الناس . فمن اعتدى على ملك غيره وحرمه ثمرة جهوده والاستفادة منه على أي وجه ، كان مجرماً آثماً ، وليس السارق وحده هو الخائن . بل يشاركه في الجرم كل من يساعده على السرقة بتشجيعه أو باخفاء المسروق .

والسرقة مضار شتى . بين اجتماعية ، واقتصادية ، وخلقية ، وجسمية ، ومرتكبوها طوائف عدة ، تخصص كل فريق بسرقة نوع مخصوص .

فمنهم من يسرق الماشية ليس غير . ومنهم من يسرق خزائن المال . ومنهم الهجامون . والهفافيون . والنشالون . والخطافون . والسارقون بالاكراه . والمستعينون بالكوروفرم والمواد المخدرة . إلى غير ذلك من الطرق الغريبة المدهشة : وستفرد لذلك موضوعاً خاصاً به .

فاجتنبوا الاضرار بالناس لارحمة بائخلاق . ولكن خوفاً على أنفسكم من أن يصب الله عليكم جام غضبه . فتصيحوا على ما فعلتم نادمين . وعلى العموم . فمؤذي الناس بأي حال من الأحوال ظالم أثم . ومعترض على الله في نظامه . ومجتريء عليه في أحكامه . فلا يغرنكم الأمن والأمل

فتخرجوا بمعادة بعضكم بعضاً وإيذانكم لأنفسكم عن نطاق الدين . فمن خرج
عن نطاق الدين فقد هوى .

وراقبوا الله في كل عمل تعملونه . فان مراقبته تصد عن الاعتداء .
وتهدى الى الطريق السوى . والحياة سوق قام ثم انقض . ربح فيه من ربح .
وخسر فيه من خسر .
فلا تكونن أيها المسلم أخسر الناس صفقة يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً .
والأمر يومئذ لله .

(٦) بعض أسباب ما يعانیه الناس من البلاء
ووصف ما يرفع ذلك عنهم من الدواء

فترة الحياة وإن طالت قصيرة . من الجهل تضییع سعادة دائمة ، في
جنب لذة خسيصة نافذة . أخوة الدين شرط لتحقيق الايمان . روح الايمان
الرحمة وقد خلت منها القلوب . حلول الغل والبغضاء محل الرحمة اليوم .
دخول الجنة موقوف على الايمان بالله . الايمان بالله موقوف على محبة المسلمين
بعضهم لبعض . حال الأنصار مع المهاجرين . بوادر غضب الله على من صرخوا
من المسلمين من تعاليم دينهم . ما نزل من البلاء الآن بالناس أخف بكثير مما
ينتظر لهم إن داموا على عصيانهم وطغيانهم . عظة بالموت وبيان أنهم لم يأخذوا
من دنياهم إلا ما عملوا :

قال الله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلاً)
جلت قدرة الله تعالى وثقت مشيئته . قدر لسكل نفس مدة تقضيها في الدنيا
ثم تنتهي الى مصيرها . وهذه المدة التي نسميها مدة الحياة قصيرة بالنسبة الى عمر الدنيا

وكان الواجب على الانسان وقد عرف أنه مخلوق لله ، وخاضع لسلطان الله
ومستول في الآخرة عن عمله ، كان الواجب عليه ألا يضيع سعادة أبدية
في جنب حياة وقتية ، ولكن الانسان ظلوم كفار :

يأمرنا الله تعالى بأن نكون إخوة في الدين ، متعاونين متحابين ، ويجعل
ذلك الاخاء والمحبة شرطاً لتحقيق الايمان ، وأن من لا يتصف بذلك فليس من
الدين في شيء : فهل عملنا على ذلك وحققناه ، ونحن نسمع قوله تعالى : « إنما
المؤمنون إخوة » ؟ وهل رحم بعضنا بعضاً ؟ وأشفق بعضنا على بعض ؟ أم نحن
متناكرون يجب بعضنا لبعض الضرر والمكروه ؟ ونحن نسمع قول الله تعالى :
« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » فأين موضع
هذه الرحمة من قلوب المسلمين اليوم ؟

لقد خلت هذه القلوب من معاني الرحمة التي هي الايمان ، وحل محلها الحقد
والغل والبغضاء والشر ، وأصبح كل يريد أن يأكل أخاه لقمة سائغة ، بل يريد
أن يفلق دونه أبواب الرزق والخير إن استطاع الى ذلك سبيلاً .

ألم نسمع غير مرة قول الرسول الكريم ﷺ : « لن تدخلوا الجنة حتى
تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تحابوا » ؟! فقد جعل عليه الصلاة والسلام دخول الجنة
موقوفاً على الايمان بالله ، وجعل الايمان بالله موقوفاً على محبة المسلمين بعضهم
لبعض : فاذا زالت المحبة من القلوب زال عنها الايمان . واستحق صاحبها من
الله تعالى العذاب الأليم .

وليس معنى المحبة إلا تعاطف القلوب ، والتعاون على فعل البر والاحسان
ودفع الشر عن المسلمين ، وأن يجب كل واحد لاخوانه ما يحبه لنفسه ، ويكره
لهم ما يكره لها .

والدين يحدثنا والتاريخ يثبتنا أن المهاجرين لما نزلوا على الأنصار في المدينة أفسحوا لهم الصدور ، وأسكنوهم في منازلهم ، وفرحوا بمقامهم معهم . وشاطروهم أموالهم وملابسهم وخدمهم عن رضي واختيار « كما جاء بذلك القرآن الكريم » لأن نور الاسلام وهدايته أشرفت على قلوبهم فجعلتهم نفساً واحدة في أجسام متعددة .

فأين نحن من تعاليم ديننا وشريعة نبينا ؟!

لقد أصبحنا نضمر العداوة لبعضنا لبعض . ونكره الخير بعضنا لبعض ، ونتمنى المصائب والمكاره بعضنا لبعض حتى صب الله علينا من أجل ذلك غضباً لا نعلم مداه .

ففي كل ناحية نلتفت اليها نجد نوعاً من العذاب . وصنفاً من العقاب . يهدد بصواعق من السماء محرقة . وخوف من أعداء ممحقة ساحقة . وجنود من جنود الله مسلطة على الأجسام والمزارع موقفة . وتهديد بالمجاعات . وقلة في الأقوات . الى غير ذلك من المهلكات . فهل من مذكر ؟!

وما يدرينا ! ! لعل كل هذه الأنواع من العذاب مقدمات لهول أفظع وهلاك أشنع . إذا لم نتدارك أمورنا . وتتواصى فيما بيننا بشريعة نبينا . ونظير قلوبنا من الغل والحسد والحقد والبغضاء للناس . وتتراحم فيما بيننا . عالمين أننا الى الله راجعون . وعمما قدمنا مسئولون . وعن أعمالنا محاسبون . وأن من سبقنا لم يأخذ من الدنيا لا قليلاً ولا كثيراً . بل طوته أيدي الردى وانتقل الى الدار الآخرة خالياً من كل شيء إلا أعماله : فهو بها بين حالين . إما شقاء دائم إن كان من الضالين . وإما سعادة ونعيم . إن كان من الصالحين .

فرحم الله امرءاً تفكر فاعتبر . ونظر بعين الفكر فازدجر . فمن يرد الله

أن يهديه يشرح صدره للإسلام - ومن برد أن يضاهيه بمجمل صدره ضيقاً حرجاً
كأنما يصعد في السماء - كذلك يجمل الله الرجس على الذين لا يؤمنون - وهذا
صراط ربك مستقيماً - قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون .
نسأل الله تعالى وهو مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على الإيمان . وأن
يفرس فيها الحب للمسلمين - وأن ينزع من قلوبنا الغل والحقد والحسد الدفين .
وأن يملأها إيماناً ومحبة للمعتقين . إنه ولي المؤمنين .

(٧) اعتذار الناس فيما يأتون ويذرون قوله: « أكثر الناس كذلك يفعلون »

مجمل تفسير الآية الافتتاحية . أكل القوي الضعيف . أكل الربا
والتكالب على الدنيا والانغماس في الشهوات . البيع على البيع طمعاً في الربح .
منع الزكاة وترك الصلاة والتهاون بحقوق الله . الرياء والملق نغذية للحقد والحسد
انتهاك حرمة الله في المساجد . اخيانه في الأموال والأسرار . الحجبة التي
يتعلقون بها داحضة . التأسى بالناس في الفساد مهلكة . العصاة في الآخرة
أعداء ألداء . وإن كانوا في دنياهم من الأصدقاء الأخلاء . نتيجة عمل المفسدين
مهلكة لهم يوم الدين . الاشتراك العام بين المجرمين - سهل عليهم ما هم فيه من
الضلال المبين . فكان السكل من الهالكين . وصاة لهؤ من باتقاد نفسه من
النار . وأنه مسؤل في الآخرة عما اقترف من الأوزار .

قال الله تعالى : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله
إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون »
... آية حكيمة تفسر لنا ما فيه الناس من ضلال وما انغمسوا فيه من شهوات :

وقد استطاع الشيطان أن يلبسهم حجة يمتدحون بها . وسنداً من الكذب
يتمددون عليه : ألا وهو قولهم « أكثر الناس كذلك يفعلون » .

يأكل القوي حق الضعيف متعللاً بأوهام لا أصل لها . فإذا ما ناقشته
وخطأته فيما فعله قال لك في النهاية « أكثر الناس كذلك يفعلون »

يأكل الناس الربا وينغمسون في الشهوات ويتكالبون على الدنيا فيجمعونها
من حلال وحرام فإذا ناقشتهم . وبينت لهم أخطأهم وزيفهم عن طريق الصواب
قالوا لك في النهاية : « أكثر الناس كذلك يفعلون »

يبيعون سلعهم بيعاً صحيحاً . فإذا لاحت لهم بارقة طمع . باعوا هذه السلعة
بيعاً ثانياً ، أو ثالثاً ، طمعاً في الربح غير المشروع : فإذا بينت لهم الحق من الباطل
هذا غدر وفساد وأكل لأموال الناس بالباطل أجابوك أكثر الناس كذلك يفعلون

يمنعون الزكاة ويتركون الصلاة . ويتهاونون بحقوق الله . ويحرصون على
الدنيا . غارقين في بحار الأمل الكاذب . فإذا نصحت لهم هروا رؤوسهم كالمتعطين
وإذا جئوا إلي أنفسهم كانوا شياطين .

فإن ضيقت الخناق عليهم فيما يعملون . قالوا : (أكثر الناس كذلك يفعلون)
يمتلئ قلب الواحد منهم غيظاً وحنقاً . كما يمتلئ صدره حسداً وغلا لأخيه
المسلم . فإن قابله كان ابتسام ومصافحة وتملق وثناء حتى يخيل للرأى أنه صديق
جسيم وأخ خالص المودة ، وهو في الحقيقة ونفس الأمر عدو مبين . فإذا عبت
عليه هذا الرياء وهذا الملق قال : أكثر الناس كذلك يفعلون :

يفتلكون حرمة بيوت الله . ولا يراعون لله حقاً في مساجده فيتخذونها
مكان لغو ورفث ونوم ويحدثون فيها من الهرج والجلبة والضوضاء ما يحدثون

فاذا نهيتهم . قالوا : أكثر الناس في بلاد الله كذلك يفعلون :
تأتمنهم على الأموال أو على الأسرار . فاذا هم خونة سارقون . والاسرار
مفشون . ولما أخذوه منكرون . وبالأيمان الكاذبة حالفون (اتخذوا أيمانهم جنة
فصدوا عن سبيل الله : إنهم ساء ما كانوا يعملون) وفي النهاية يقولون : أكثر
الناس كذلك يفعلون .

وفي كل ما يرتكبون من المنكر ويأتون من الموبقات إنما في هذا كله
يعتمدون على قولهم « أكثر الناس كذلك يفعلون » : كأنما هذه الحججة
الداخضة آية قرآنية بها يستشهدون . وعليها يقولون : فمتى كانت جريمة المجرم
عذراً للناس في أن يرتكبوا ما ارتكب ويفعلوا ما فعل ؟ ! ومتى كانت مخالفة
الناس للدين مبررة لانتشار الفساد من الآخرين ! !

إن الله تعالى يقول وقوله الحق وبيانه الفصل : « ولا تزر وازرة وزر
أخرى » كما قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » . ويوم القيامة لا يجزي
والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، وكل واحد مستعمل عما
اقترب ، محاسب بما قدم وأخر : ولسكنها حجة من غلبه الشيطان ، واتخذته
الدنيا عبداً من عبدها ، يضحى بسعادته الدنيوية والأخروية في سبيلها .

نعم يضحى بسعادته في الدنيا ، لأن الربح الذي يناله من طريق الضلال
لاغناء فيه ، ولو أنه استبدله بربح مشروع لكان هنيئاً مريئاً ، ولعاش به
سعيداً ، ومات به حميداً ، أما في الآخرة فسيعاقب عليه عقاباً شديداً .

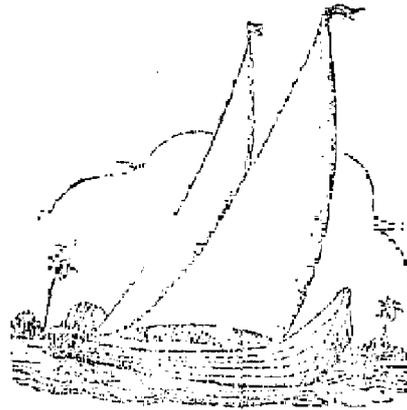
إن الناس أنس بعضهم ببعض ، ورأوا أن الفساد قد عم وانتشر . وأن
الشيطان قد اتخذهم مطية ذلولا فجعلوا يطمئنون أنفسهم بهذا الاشتراك العام في

الضلال ، ويتأسى بعضهم ببعض في هذا الهلاك المبيد : ويوم القيامة ترى الأضلاع منهم بعضهم لبعض عدو ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً وداواعم النار وما لهم من ناصرين .

أبها المؤمن : عليك نفسك ، ففيها شر النار . وعرفها أن الناس كلهم لا يستطيعون يوم القيامة أن يخلصوها من عقابها اذا استحققت عقاباً ، ولا ينفعها هناك أنها قد كان لها شركاء كثيرون فيما ارتكبته من الآثام ، فسيكونون معها في العقاب كما كانوا معها في الضلال .

أرشدنا الله الى نور الهداية وبعادنا عن العمية والغرابة ، وهـدانا الى

صراطه المستقيم .



(٨) سنة الله مع العباد في حالتى الصلاح والفساد

سنة الله مع خلقه إذا استقاموا • سنته مع خلقه إذا اعوجوا • تعداد عقاب العاصين (وتحجر القلوب بالقسوة • عمى البصائر • التماذى فى الضلال • بغيرهم على بعض • حرصهم على الدنيا وما يترتب عليه من تضييع حقوق الله وحقوق العباد • تسلط الأمراض على أجسامهم • تسلط الآفات على مزروعاتهم • تسلط أعداء الدين على ديارهم وأموالهم) •

دواء القسوة (التفكير فى هول الموت • التفكير فى هول المحشر • التفكير فى رهبة الله عند لقائه • الجلوس بين المقابر والتفكير فى مصير أهلها) • صلاح القلب وفساده وآثار كل • استشهاد دينى على فلاح من ينتفع بغير ما يسمع • التحذير من حلم الله وعدم تعجيل العقوبة • البلاء الذى فيه الناس اليوم إنذار بالعذاب لا عذاب - إن لم يفرأ الى الله • النصيح بالإنابة ومعالجة الناس نفوسهم وإصلاح أمرهم وأمر ذوبهم •

قال الله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم • وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له • وما لهم من دونه من وال »

... يا الله ! اكم أرشد المرشد ، ونصح الناصح ، والقلوب فى أكنة ، والأسماع فى وقر ، وهما هو رب العزة يقول لكم فى جلاء ووضوح : إن نظامى مع خلقى فى جميع الأزمان واحدا لا يتغير مع كل الأمم ، وهو أنى أعاملهم بمقتضى أحوالهم وقلوبهم ، فإن كانت نفوسهم زكية طاهرة بعيدة عن

الدنس والخطايا ، وأعمالهم على مقتضى شريعتي ودينى الذى جعلته طريقاً لهم -
كان لهم منى جزاء فى الدنيا مطابق لما هم عليه . فأوسع أرزاقهم ، وأبارك لهم
فى مكاسبهم وفى حياتهم وفى أبنائهم ، وأحفظهم من كل خوف ، وأجازيهم فى
الآخرة بما أجازى به الصالحين من أوليائى .

وعلى عكس ذلك إذا فسدت قلوبهم واستلأت بغيًا وحسدًا ، وحادوا عن
شريعتي التى أوجبت عليهم العمل بها ، فجزاؤهم أن تصاب قلوبهم بالتسوية والعمه
حتى يصير متعجزة لا تلتذع بوعظي ولا إرشادي ، ولا تهرب حسابًا ولا عقابًا ، فإذا
صارت قلوبهم كذلك ، وعميت بصرهم ، تمادوا فى ضلالتهم ، ودبت فى قلوبهم
عقارب الحسد والبغضاء بعضهم لبعض ، وسلطت على نفوسهم الحرص على الدنيا
ليمنعهم ذلك الحرص من أداء حقوقى التى أوجبها عليهم ، وسلطت على أجسامهم
أنواع الأمراض المختلفة ، والأوبئة الفتاكة : وسلطت على مزارعهم الآفات التى
تفتك بها ، وسلطت عليهم أعداء دينهم يفتصبون أموالهم وديارهم ويسومونهم
الذلة والمروان ، ويكرمونهم لعمدة الراحة والأمان .

ذلك بأنهم حاربوا بالمعاصى فخاربتهم فى دنياهم ، وسوف يصلون فى
الآخرة عذاب الجحيم .

أيها المسامرون : عاجزوا قلوبكم من هذه التسوية بالتفكير فى هول الموت
وهزل المحشر ، ودهية الله عند لقائه ، فإذا لم تلب قلوبكم بهذا فاذهبوا إلى المقابر
واجلسوا بين الموتى ، وتصوروا وأنتم جالسون أشخاصهم ، وما كانوا عليه فى
الدنيا ، وكيف انتقلوا منها الى هذه الأجداث ، لتعلموا أن مصيركم كمصيرهم ،
وأن قسوة قلوبكم ، عقاب أشد عقاب على معاصيكم .

ألا وإن القلب مضعفة إذا صلحت صلح الجسم كله ، ومتى صلح الجسم صدرت عنه الأعمال الصالحة ، فاذا فسد القلب فسدت الجوارح كلها ، فلا يصدر عنها إلا سيئ الأعمال وخسيس الخصال .

ولا يصلح القلب إلا بالتوبة والانابة والرجوع الى الله . والعمل على مخالفة النفس والهوى ، فهل ستعملون بما تسمعون : أم أنتم في غوايتكم تعمهون . قال تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله . وأولئك هم أولوا الألباب » « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون »

إن الله حلیم لا يعجل . ولكنه يمهل ولا يهمل ، فاذا تمادى قوم فى المعاصى ، وأنذروا عقاب الله مرة بعد أخرى ، ولم يرجعوا الى صوابهم ، ولم يتداركوا أمرهم ، أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وصب عليهم البلاء صبأ .

فاذا كنتم الآن فى شىء من عذاب الله . فاعلموا أنما هذا قطرة من بحر ينتظركم « إن لم تفرأ الى الله » وما أنا إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد . أفيقوا من غفلتكم . وليظهر كل واحد منكم قلبه وضيقه مخلصاً لله . وليصلح شأن أهله وولده على مقتضى الدين : واضرعوا الى الله تعالى ، أن يوفقكم لمرضاته . وأدوا حقوقه كاملة . يحبسكم حياة طيبة . ويغفر لكم ذنوبكم . والله غفور رحيم .

أعاذنا الله وإياكم من سطوة الله تعالى وغضبه . وألهمنا العمل بمرضاته . فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(٩) الغافلون عن الآخرة وسوء ما لهم

أسباب صرف الناس عن أمر الآخرة . من عادة الدنيا أن تشغل عن أمر الآخرة وتطفى . ودليل ذلك : قد يعذر الأغنياء ولا عذر للفقراء . نكبات الفقير العاصي : نسيان الله تعالى هو سبب هذه النكبات . حرمان من نسي الله من راحة الدنيا ونعيم الآخرة . شبهة والرد عليها . وبيان أن ما يأتيه الانسان صور عبادة وليست عبادة حقيقية . بيان تصور حال الناس على ما هي عليه وينبهم ليستيقظوا . حقيقة الدنيا مع الطائعين والعاصين ونظام الله في ذلك . طريق خلاص الناس من بلاهم الحاضر (آية قرآنية) .

قال الله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا . والله عنده حسن المآب » .

... هذه الآية الكريمة جمعت أسباب غفلة الناس عن أمر الآخرة ودلت على أن حب الدنيا وشهواتها والتكاثر بالأموال والأولاد وما اقتنوه من أنعام ومواش وأراض وعقارات . كل ذلك كان فتنة لهم . زينته الشيطان في أعينهم فشغلوا به عن تدبير أمر آخرتهم .

نعم إن الدنيا إذا ترفرت للانسان أظغته : يقول الله تعالى : « إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » .

وقد يكون للأغنياء الذين جمعت لهم أسباب الثروة من مال وجاه ومتاع قد يسكون لهم عذر في التشاغل عن أمر الآخرة . فما هو عذر الفقراء الذين

لا يملكون أقواتهم إلا بمنتهى الجهد والعناء من أمثالنا ! ! وما هي التي يشغلهم عن النظر في أمر الآخرة ؟ إنهم بلا شاة قد حرموا نعيم الدنيا ورغباتها إذ تراهم في نصب وكدح دائبين : فتعجب في كسب الرزق والعمل في الأرض . وتعجب من فساد الأخلاق وضعف الوازع الديني .

فهذا مضمحل الحقد لأخيه . وهذا حاسد لذويه وغير ذويه . وثالث يتراض الدوائر بالناس ويود لو تنزل بهم المصائب . ورابع يفرح لحزن الآخرين . وخامس منغص من عقوق أولاده وفساد أخلاقهم . وسادس مني بزوجته سامة تذيبه كل يوم الماء جديداً وهماً مبرحاً . وهكذا لا ينتهي أسببه ولا تعب .

وكل ذلك ليس له سبب ولا مصدر إلا أن الجميع قد نسوا الله وأصبحوا عبيداً للدنيا . فكان حقاً على الله أن يشقيهم بها . وأن يحرمهم الراحة فيها وكانت النتيجة أننا نرى الواحد يقضى حياته في التعب والذنب . والهم والأمل الكاذب . راجياً أن يكون في المستقبل سعيداً : فما يزال يدأب ويدأب حتى يمد الموت يده اليه فيختطفه قبل أن يتم أمله . فلا راحة في الدنيا اكتسب . ولا زاداً للآخرة ادخس . فيذهب الى الآخرة فيرى داره فيها خراباً يباباً . فلا دنيا جمع . ولا الآخرة أدرك . قد خسر الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين .

قد يقول الرجل منا : كيف هذا وأنا أؤدي الصلاة . وأبذل الزكاة . وأصوم رمضان وأعمل كل ما يقربني الى الله ؟

مهلاً مهلاً . لو أن هذه الأعمال كانت خالصة لوجه الله تعالى . وفيها روح التقوى والخوف من الله . لو كانت كذلك لمعت من تلك الشرور التي تعاقم

خطبها ولكنها لم تخرج عن كونها أعمالاً آلية صورية يأتي بها الرجل بحكم العادة ،
بدليل أنها لم تصلح أمره ، ولم تحمله على التفكير في الآخرة . فلم تنبه عن
المنكرات التي يأتيها . وقد قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »
وقال رسول الله ﷺ : « من لم تنبه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من
الله إلا بعداً » .

وكيف يزعم هؤلاء أنهم قد وقوا ما عليهم ونحن نرى الحسد والحقد وحب
الأذى للناس . والفرح لمصائب الناس ، والتقاطع والتدابير ، والكبر وحب
النفس واحتقار الناس . يأتيها المصلون صلاة آلية ظانين أنهم قد استجابوا
لدينهم ، وأطاعوا أمر ربهم ، فكيف تستقيم مع هذه المعاصي وتلك الرذائل
الخلقية التي يبرأ منها الدين عبادة مقبولة ؟ ! !

فيا قوم : نحن فقراء فقراً مدفعاً ، ليس في أيدينا من الدنيا ما نعتذر به
عن الاشتغال بالآخرة ، والذي بأيدينا من الدنيا شيء حقير بالنسبة لغيرنا .
ولا نستطيع أن نأكل القوت الكفاف منه إلا بمشقة . فهل تريدون أن
نحرم الآخرة أيضاً فنكون قد خسرنا دينانا وأخرانا ؟ ! ! أليس الأجدر بنا
أن نتدارك أمر الآخرة مادام قد فاتنا حظنا من الدنيا ؟ ! !

ألا وإني ضمير لكم إذا توجهتم لتحصيل الآخرة ، أن الدنيا ستأتي إليكم
صاغرة ، وأنكم ستكونون على حال خير مما أنتم فيه ، وأن الله سيبارك لكم
في أرزاقكم ، وأبنائكم ، وأعمالكم ، وأعمالكم ، ويملأ قلوبكم إيماناً واطمئناناً فتجتمعون
بين سعادتي الدنيا والآخرة : فهذا وعد الله ، ولن يخلف الله وعده « ومن يتق
الله يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله إليكم »

وقد أبان الله تعالى طريق الخلاص مما نحن فيه . فذكر بعد الآية التي أسلفناها قوله تعالى لنبيه الكريم : « قل أؤذنبكم بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد »
ألهمنا الله السداد . وأرانا طريق الرشاد . إنه رؤوف بالعباد .

(١٠) المطالب التي يرغب فيها الغيبون ويعمل من أجلها العاملون

مطالب الانسان في الدنيا والوسائل اللازمة لذلك وأهمها توفيق الله . الآخرة ووسائل الحصول عليها وأهمها صحة اليقين بعد توفيق الله . حالتها بازاء هذه المطالب بقسميها . خطأ العامة في تأدية التكليف الشرعية . الرغبة في الحصول على الدنيا أو الآخرة من غير الوسائل محال . من باع دنياه بآخرة ظهر . ومن باع آخرة بدنياه خسر . طلاب الآخرة في سعادة ولذة تحسد لهم ملوك الأرض عليها . عبيد الدنيا أو نياء الشيطان . وطلاب الآخرة عباد الرحمن .

قال الله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » .

... كل فرد منا معشر المعاصين يريد في الحياة أن يكون ممن توفرت لهم وسائل الغنى والثروة ، فهو يحب أن يكون موسعاً عليه في رزقه ، مباركاً له في ذريته . محفوظ الكرامة بين قومه . مسموع الكلمة في الناس . ويطمع

فوق هذا أن يسكون من أهل السعادة في الآخرة ، وأن ينال عند الله منازل التسكريم ، والنور العظيم .

وهذا لعمر الله آمال وأمانى عظيمة ليس من ورانها زيادة لمستزيد ، ولا بعدها غاية لمريد : إلا أن هذه الآمال تحتاج الى جهاد طويل ، وعمل غير قليل : فالثروة والجاه في الدنيا لا بد لهما من أن يواصل الانسان الليل بالنهار في الجهد والسعى ، وأن يختار الوسائل التي تضمن له المال اللازم لذلك ، كما تتوقف على توفيق الله ومعونته ، فان كان للمرء نصيب فيها ظفر بها ، وإلا فلا يغنى عنه سعيه وتعبه شيئاً . هذا ما يختص بالمطلب الديوى .

وأما ما يختص بالسعادة في الآخرة ، فذلك لا يقل عن الأول غناء وتعباً ، فان الجنة قد حنت بالمسكاره . فلا ينال الانسان سعادة الأخرى إلا اذا صدق إيمانه . وراقب ربه في جميع أعماله ، واتفق عذابه ، ورجا ثوابه ، بقلب مخلص وعمل متواصل : بحيث يؤدي جميع ما فرض عليه . ويطبق أعماله على سنن الشريعة الغراء ، وأن يكون حسن المعاملة مع الناس ، يحب لهم ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها : وأن يتهيأ للموت ويستعد له ، حتى إذا نزل به وجدده على تمام الأهبة ، فلا يأخذه بغتة فيبهره . فان الموت طالب حثيث لا مفر منه ، وقد أخفى الله عنا الآجال والأرزاق ليسكون الأمل ، سائقنا الى العمل حتى ينتظم السكون وتم حكمته في خلقه .

ونحن إذا حاسبنا أنفسنا وطبقنا أعمالنا على قانون طلاب الدنيا والآخرة لا نجد إلا الخيبة والخسران ، والمذمة والهوان : فاتنا لا نطلب الدنيا للغايات السامية التي تطلب من أجلها : لأن أجل الغايات التي من أجلها يرغب في الدنيا

الراغبون . ويعشتها من أجل ذلك المتها الكون ، أن يقوموا بأعمال عامة تخلد ذكرهم ، وترفع بين الناس قدرهم ، ونحن لم نظفر من الدنيا بنائل ، وليس لنا في الأعمال النافعة أثر ظاهر .

وأما عملنا للأخرة فهو قاصر على الصلاة المكتوبة ، وليتنا نؤديها بخشوع وسكينة . بل يقوم الواحد فينقرها كما ينقر الغراب . وهو مشغول القلب بالدنيا منصرف الفكر الى مشاغله فيها : ولم يدرك أنه واقف بين يدي رب العزة الذي تهتز من هيئته السماوات والأرض عظمة وإكباراً .

ثم غفلنا عن بقية أحكام الدين ، وانتهكنا حرمة . فصرنا نتفكك بالغيبة والتميمة . ونجتريء على الأعراض ورحي المحصنات ، ونسى في إيذاء بعضنا بعضاً ، وانضم العداوة للمسلمين ونزأى بعبادتنا .

وعلى الجملة لبسنا الدين مقلوباً حتى ضجعت الملائكة من مساوينا ، وضربت الأمثال بمخازينا . ومع كل هذه الخسائس نطمع أن نكون من أهل السعادة في الآخرة . فهل رأيتم أعجب من ذلك ؟ !!

إن الله تعالى لم ينزل الشرائع عبثاً ، ولم يرسل رساله لعباً ، وإنما جرت إرادته ونفذ أمره بذلك ، لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل : فمن طمع في الدنيا ولم يعمل الوسائل التي يعملها طلابها فهو من الجاهلين . ومن رغب في الآخرة ولم يسلك سبيل الشريعة على وجهها فهو من المقصرين المحرومين .

وحرى بمن لم تواته الدنيا أن يستعيب عنها بالعمل للأخرة : فإذا تبصر بعد هذا كله . علم يقيناً أنه ظفر بما هو أئمن مما ترك .

وكيف يوازن العاقل بين دنيا لاقيمة لها إلا في أعين الجهلاء ، بأخرى

هي دار الراحة والبقاء ؟ ! على أنه إذا اطمأن بذكر الله قلبه ، وشعر ببرد اليقين
يملاً صدره لم يبق في قلبه لحب الدنيا موضع . ولا يأسى على شيء فانه منها .
بل ربما حمد الله وشكره على نعمة النقر والصبر : فقد تطفئ الدنيا حتى توصل
من أطفئته الى أن يصير من جند الشيطان . الذي كتب عليه أنه من تولاه فانه
يضاهيه ويهديه إلى عذاب السعير .

وقانا الله تعالى شر الدنيا وشر غرورها ، وجعلنا من الراغبين في الآخرة
ونعيمها الدائم ، إنه هو المستعان .

(١١) الاخلاص في العبادة

بيان عظمة الله تعالى : فأندة التكليف الشرعية عأدة على المكلفين في
مصالحهم الدنيوية والأخروية . العمل جسم والاخلاص روحه . المؤمن ونظره
إلى الكون والمكون . خطر الرياء وسوء مغبته . ثناء الله على المخلصين .
استشهادات بسيرة الصحابة والرسول تبين مكانة الاخلاص . وصايا للمؤمنين
في هذا الباب .

قال الله تعالى معلماً لنبيه الكريم : « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له
الدين . وأمرت لأن أكون أول المساميين » .

... اعلموا أن الله تعالى أبدع هذا الكون وما فيه من الموجودات بكامل
قدرته ، وعظيم حكمته . ليعلم خلقه عظمة الربوبية : فيعترفوا له بالوحدانية .
وشرع لهم من التكليف والعبادات ما يضمن سعادتهم في الدارين من غير أن

يعود عليه نفع من ذلك : وجعل الاخلاص في العبادة روحا لا يقبل عمل بدونه
فتى مازج العبادة رياء أو شأها غرض من الأغراض انقلبت على صاحبها وبالا
واستوجب بسببها عذاباً ونسكالا .

فالؤمن حقاً من ينظر الى هذا العالم فلا يرى فيه بعين بصيرته إلا ربه
المعبود ، وما سواه فهو معدوم مفقود . يذكره مظاهر السلاح أمام الناس
خشية أن يتسرب النفاق الى قلبه فيكون من الهالكين : كم من تقى ورع
قضى الحياة في الطاعات : حتى اذا ما عرف الناس منزلته وأثنوا عليه الثناء
المستطاب ، داخله العجب والرياء فأفسد عليه طاعته وتقواه . وأبعده الشيطان
بذلك عن رحمة الله . ذلك لأن الرياء في العبادة هو الشرك بعينه . إذ هو توجه
بالعبادة لشيئين . أولهما : الغرض الخفي الذي يضره في نفسه من مباحاته الناس
بالعبادة وحملهم على اعتقاد الخير فيه ، وتعظيم مكاتته عندهم ، لينال بذلك شيئاً
من متاع الدنيا .

وثانيهما : أداء ما أوجبه الله عليه وإن كان هذا في نفسه شيئاً هيناً بجانب
غرضه الأول . وكفى بذلك نفاقاً : ومن كانت حاله كذلك كان في الآخرة من
الأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا . وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا .

ومن هذا نعلم السر في أن الله تعالى حض على الاخلاص في العبادة .
وكرر ذلك في عدة مواطن من كلامه الكريم : قال الله تعالى : « وما أمروا
إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وذلك
دين القيمة » كما قال تعالى في آية أخرى « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد .
وادعوه مخلصين له الدين » .

وقال جل من قائل : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً . إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك المؤمنون وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم » .

فإخلاص النية إلى الله في القربات إليه شرط لازم لا تقبل عبادة مهما اجتهد صاحبها إلا به . وسلم لا يصعد عمل صالح إلى الله تعالى إلا عليه : « إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

والدليل على أن العبد إنما يجازى بما عقد عليه نيته أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك يكون في سبيل الله : فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فاحذروا أن تصرفوا النية في العبادة وما تأتونه من صالح الأعمال عن الإخلاص لله تعالى : وتأكدوا أن كل عمل خلا عن الإخلاص فهو ذنوب وآثام لا يزداد بها العبد من الله إلا بعداً . وعن رحمته لا طرداً :

جعلنا الله من عباده المخلصين الذين لا يبتغون إلا رضاه . ولا يقيمون وزناً لما عداه : إنه مصرف القلوب بمشيئته ، يخلص من يشاء بتوفيقه ورحمته وهو أرحم الراحمين .



(١٢) الرياء

الغنى المطلق ليس إلا الله . الكون مرآة تتراءى فيه مظاهر صفات الله .
مصالحة المكلفين فيما كلفوا به تعود عليهم . إحباط الرياء للعمل وقبوله بالاخلاص
فيه . تفنن المرائين بالحيل الشيطانية لتتنطبق حواشيهم المنكرة على صور الشريعة
الاسلامية . خوف السلف الصالح من الرياء . استشهاد من كلام الله وتمثيل
يبين خطر الرياء . ليس للمرائي من عمله إلا التعب والخسران .

قال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً . ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » .
• • • اعلموا أن الله جل شأنه خلق العالم لغير علة ولا حاجة إليه : وإنما
أراد بذلك إظهار عظمتة ونعمه على مخلوقاته ، فلا تنفعه الطاعات ، ولا تضره
المنكرات والسيئات : فلو أن أهل الأرض جميعاً كفروا بوحدايته ما نقص
ذلك في ملكه شيئاً ، كما أنهم لو انقطعوا لعبادته وبدلوا المهبج في طاعته ، لما
زاد ذلك في ملكه شيئاً : سبحانه هو الغنى وأثم الفقراء .

ومن أجل ذلك كلف العباد بطاعته ومصالحه لهم في دنياهم وأخراهم . ورتب
على الصالحات رحمته ، وعلى السيئات عقوبته ، ليرى العالم مظاهر نعمه ورحمته ،
ومقدار قهره وجبروته : قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .
ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق
ذو القوة المتين » .

ولا يرفع عمل العبد الى حضرته القدسية ، إلا إذا كان خالصاً لذاته العلية

فاذا اخالطه شيء من الرياء أو الخديعة رد على صاحبه ، وكان وبالاً على كاسبه ،
فمن صلى أو صام أو زكى أو حج أو اعتمر أو أطعم جائعاً أو فقيراً وأراد بذلك
أن يقال : إن فلاناً تقى فهو مشرك بالله . يطلب ثوابه يوم القيامة ممن
خدعه وراءه .

عن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة . ليوم لا ريب فيه . نادى
مناد . من أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء
عن الشرك » .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل « أنا أغنى
الشركاء عن الشرك . فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو
لذى أشرك » .

ومن أنكر ضروب الرياء أن نحتال بالأخاديع الشيطانية لتتنطبق الحوادث
المنكرة على صور الشريعة الإسلامية : وأمثال هؤلاء المرائين والمنافقين يظنون
أنهم يخادعون الله . وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون : لا يكون المرء مؤمناً
إلا إذا أخل قلبه من كل ما فى الكائنات . وتوجه بالعبادة وعمل الاحسان
الى عالم الخفيات . معتقداً أن ما سواه عدم .

ما أشقى عبداً يجهد نفسه فى الطاعة طول حياته . ويخطر بقلبه أنه نال
بذلك سمعة طيبة بين الناس بما أتاه من العمل الصالح : وعبادة كهذه مشوبة
بالرياء . تؤدي بصاحبها الى منتهى التعاسة والشقاء .

كان السلف الصالح لخوفهم من الرياء يسترون ما يفعلون من الخير كأنهم

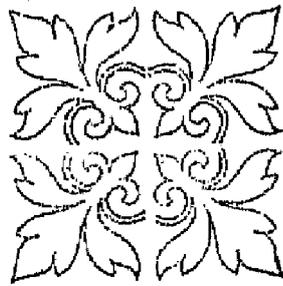
يأتون منكرًا ، وأما نحن فنباهي بأقل عمل ، ونأبسه من الرياء مفاهوراً :
والله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى . كالمذي
ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر : فمثله كمثل صفوان عليه
تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يتدرون على شيء مما كسبوا . والله لا يهدي
القوم الكافرين .

فالقرآن الكريم بأفصح بيان يقول : إن المرأى ليس له من عمله إلا
التعب والخيبة والخسران : وحسبكم أن الله تعالى يقول « فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملاً صالحاً . ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »

وليس للشرك في حق المسلم معنى إلا الرياء . فمن رآه فقد أشرك .
ومن أشرك حرم الجنة . « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار . وما للظالمين من أنصار » .

وسيان إشراك العبد بوحدهانيته . وإشراكه في عبادته . فإنه في الحالين
جعل له نظيراً . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أبعدنا الله تعالى عن الرياء . وجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم .



(١٣) الأمانة وأثرها في الدين والدنيا

وصف الأمانة . تعريف الأمانة . الفوائد المترتبة على الأمانة . ضرورة الأمانة للمجتمع الانساني . أنواع الأمانة . واجب كل فرد أن يكون أميناً . أمانة الحاكم وأثرها . أمانة الزارع . نكبة الزارع في محصولاته وتفشى الآفات والعاثات وضم الأراض بخيراتها أثر من آثار فقدان الأمانة . أمانة التاجر . بعض التجار أشبه باللصوص في تطفيف المسكيات والميزان . دليل ذلك من الكتاب . الأمانة تجرى في كل شأن من شؤون الحياة . إفشاء السر خيانة . التطلع بريبة خيانة . المستشار مؤتمن . إيقاد نار الفتنة بين الناس خيانة . اختلاق الأخبار الكاذبة خيانة . إعاقة الظالم والدفاع عن المجرم كلاهما خيانة . الحث على التجمل بالأمانة وبيان أنها روح الشريعة وقوام المعاملة . جزاء الأمين في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

... الأمانة خلق من الأخلاق الفاضلة ، وصفة من الصفات الجميلة . وأصل من أصول الديانات : ولذلك أكدت جميع الشرائع وجوب رعايتها . والحث على الاتصاف بها .

وهي رعاية حقوق الله وحقوق العباد . ويترتب عليها حفظ الأرواح ، وصيانة الأعراض والأموال . وسعادة البلدان . وحفظ الأوطان : وهي ضرورة للمجتمع الانساني ، لافترق بين حاكم وموظف وعالم وصانع ، وتاجر وعامل وزارع . فمن اتصف بها فقد استوجب الرضا من الله عز وجل ، والثقة من الناس

وكان من جماعة المسلمين المؤمنين بالله ورسوله ، الذين كتب الله لهم الفلاح ،
والفوز والنجاح ، وامتدحهم بقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)
وأنواع الأمانة كثيرة . منها الأمانة الإلهية ، والأمانة الخاصة بالإنسان
نفسه ، والأمانة العامة .

فالأمانة الإلهية هي شريعته السمحة المطهرة التي أرسل بها رسوله الكريم
ﷺ ، وحفظها ورعايتها يكونان بالعمل بما جاء فيها من العقائد الصحيحة ، وفعل
المأمورات ، وترك المنهيات .

والأمانة الخاصة بالإنسان نفسه — هي حياته وعرضه وماله ونسبه
وعقابه وصحته : وحفظها يكون بالحرص عليها ، ووقايتها من كل ما يضرها
أو يشينها أو يضيعها .

والأمانة العامة : هي الحقوق التي يضمنها أصحابها عند غيرهم ليحفظوها
لهم ويرعوها ثم يؤدوها إليهم إذا طلبوا ردها : وحفظها ورعايتها يكونان بما
قدمناه في الأمانة الخاصة .

فيجب على كل فرد في عمله المتصل بنفسه أو بالناس أن يسكون أميناً :
فإذا أدى الحاكم مهمته بالأمانة ساد العدل . وسعدت الرعية : وإذا أدى الزارع
واجبه في زراعته بأمانة فلم يقصر في واجبه ولم يظلم جيرانه ، ولم
يعتمد على شركائه في السقي والجوار كان أميناً . وكان جديراً بأن يبارك له في
رزقه وزراعته ومحاصيل أرضه : وما تنفست الآفات والعاهات ، ولا نقصت
المحاصيل ، ولا ضنت الأرض بخيراتهما ، ولا ساءت حالة مياه الري إلا بعدم
مراعاة الأمانة من الزارعين وطمع كل واحد منهم أن يستأثر بالخير دون غيره ولو

راعوا كلهم الأمانة لأخصبت الأرض وكثر خيرها وطابت النفوس وامتنعت
المشاكل والمشاحنات والمشاجرات التي نشاهدها أيام السقي والزرع .

كذلك لو راعى التجار الأمانة فلم ينشوا في بضائعهم . ولم يطمعوا في
ربحهم . ولم يطففوا في كيلهم وموازينهم . بل قنعوا بالربح المعقول . وبنوا
للمشترين الطيب من الخبيث — لو فعل هؤلاء ذلك لكانوا أمناء حقاً . وكانوا
جديرين بأن يربحوا ربحاً مباركاً فيه . وإذا لرأيت الناس في هناة ورغد عيش
واطمئنان قلب : ولكنتك الآن ترى بعض التجار أشبه بالاصوص غشاً وخداعاً
والله تعالى يقول : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون
وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
عظيم ؟ ! ! يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

فالأمانة تجري في كل شؤون الحياة : فمن أسر إليك سرّاً فقد أودع
عندك أمانة فإذا أفشيت ذلك السر فأنت خائن برئت منك الأمانة : ومن زار
أخاً ونظر إلى زوجته أو ابنته نظرة سرية فهو خائن برئت منه الأمانة : وكذلك
النظر بريئة إلى ما حرم الله تعالى النظر إليه . ومن استشار غيره في أمر ينوى
أن يفعله ولم يشر عليه بما يعتمد من صميم قلبه أنه هو الصواب — بل أشار
عليه بغير ما يظنه صواباً فهو خائن برئت منه الأمانة : ومن رأى مختصمين
وأوقد النار في خصامهما بقول أو فعل فهو خائن لدينه وقد برئت منه الأمانة
ومن زيف خبراً على الناس وكان من شأن هذا الخبر أن يزعجهم أو يغرر بهم
فبيعوا محصولاتهم بأقل من ثمنها ، أو كان من شأنه أن يمنعمهم من البيع في

حين أن المصلحة لهم هي البيع ، من فعل ذلك ليجر لنفسه أو لغيره مصلحة فهو خائن برئت منه الأمانة . ومن أعان ظالماً على ظالمه — أو دافع عن مجرم أثم لأي سبب من الأسباب فهو خائن لدينه والمسلمين ، وقد برئت منه الأمانة : وهكذا . . .

فتجملوا بالأمانة واعلموا أنها هي روح الشريعة ونظام المعاملة — وعليها تدور رضى الاجتماع . فلا دين إلا بها . ولا نظام في الدنيا إلا بتحقيقها وأن الأمين هو المثل الأعلى في دينه ودينه . وهو الذى سيحتل السعادة الأبدية بفضل أمانته في أولاه وأخراه « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

(١٤) الخيانة وآثارها السيئة

بيان ما تضمنته الآية الكريمة من أنواع الخيانة . خيانة الله وبماذا تكون . خيانة الرسول وبماذا تكون . خيانة الناس أمانة بعضهم بعضاً . سبب نزول الآية الكريمة . ذم الخيانة شرعاً وعقلاً . الحث على اجتناب الخيانة والبعد عنها .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

. . . تتضمن هذه الآية الكريمة النهى عن ثلاثة أنواع من الخيانة :

النوع الأول : خيانة الله تعالى ، وتكون بترك أو امره وفعل نواهيه :

فمن ترك الفرائض كالصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، وارتكب المحرمات كالسرقة والقتل والغيبة والنميمة وما الى ذلك فهو خائن لله تعالى .

النوع الثانى : خيانة الرسول ﷺ . وتكون بترك العمل بسنته وشريعته : فمن لم يعمل بما ثبت عن الرسول صلوات الله عليه كان خائناً له .

النوع الثالث : خيانة الناس أمانة بعضهم بعضاً . فمن أودع عند آخر ودیعة لثقتة به ولم يسلمها اليه كما أعطها إياه فهو خائن : ومن كلفته بتبليغ رسالة الى صديق لك فزاد عليها ، أو غير فيها أو حرف أو بدل لغرض سيء فهو خائن ، ومن تعهد لك بعمل من الأعمال على نظام خاص ولم يعمل على ذلك النظام المتفق عليه فهو خائن : « كما يفعل كثير من العمال الآن » .

وإفشاء السر خيانة . والنظر بريبة الى ما حرمه الله تعالى خيانة . والتطفيف فى الكيل والوزن خيانة ، وأكل أموال الناس بالباطل خيانة ، وإيقاد نار الفتى بين الناس خيانة . وإعانة الظالم والدفاع عن المجرم كلاهما خيانة ، واختلاق الأخبار الكاذبة خيانة ، والسرقة بجميع أنواعها خيانة ، والظلم خيانة ، وأكل مال الأجير خيانة ، وخيانة الشريك لشريكه والوكيل لموكله خيانة .

وإليك السبب فى نزول الآية المتقدمة :

روى أن النبى ﷺ حضر بنى قريظة (قوم من اليهود كانت مساكنهم قريبة من المدينة) إحدى وعشرين ليلة . فسألوه الصلح على أن يسيروا إلى إخوانهم بأرض الشام . فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ . فقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة (صحابى جليل) وكان مناصحاً لهم — لأن ماله وولده كانوا عندهم فبعثه اليهم . فقالوا : ماترى ؟ هل نزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار

إلى حلقه أنه الذبح (أى فلا تفعلوا) . قال أبو الباقية : فإزالت قدمائى (أى من مكانهما) حتى علمت أنى خنت الله ورسوله . فنزلت فشدت نفسى على سارية (عمود) فى المسجد وقلت : والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله على : فمكثت سبعة أيام — ثم خررت مغشياً على ، ثم قيل لى : قد تيب عليك فحل نفسك . قلت : لا . والله لأحلبها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلبنى . فجاء خلانى بيده . فقلت : إن من تمام توبتى أن أهر دار قومي الذى أصبت فيها الذنب . وأن أنخلع من مالى . فقال عليه الصلاة والسلام : يجزيك الثالث أن تتصدق به .

فالخيانة مذمومة شرعاً وعقلاً . لأنها تدل على دناءة النفس وخسة القدر وصاحبها مكروه بغيض . ينفر منه إخوانه وأحبابه ، وأقاربه وأصحابه : إذا سألهم لا يعطونه ، وإذا احتاج اليهم لا يساعدونه : إن عاش كان حقيراً وإن مات مات ذليلاً : لا يسمع له قول . ولا يشترك معه أحد ، ولا يتخذة نصيراً ، ولا يرضاه معيناً أو مديراً . لأن خيانتة هدمت مجد نفسه . وجلبت له الشقاء وكرهة الناس : وما للخائنين من أنصار .

وإذا فشت الخيانة فى أمة من الأمم ذهب ريحها . وتقوض مجدها ، وانحطت درجاتها ، وهوت الى الخفيض الأسفل ، وأصبحت لقمة سائغة لغيرها ، يذها ويستعبدها .

وفى التاريخ أدلة ساطعة على ذلك . فكم من أمة ذلت وغلبت على أسرها بخيانة بعض أبنائها :

وعلى العموم فالخائن غير شريف . وهو شر على نفسه ، وشر على أهله

وعشيرته ، وشر على المجتمع الذي يعيش فيه : ومتى كان ذلك كذلك . وقد عرفتم آثار الخيانة وأنواعها ونتائجها ، فعليكم باجتنابها والبعد عنها . وكونوا من ذوى الأمانة ، المبرئين من الخيانة . ووقفوا عند حدود الله تعالى ، لتستحقوا منازل الأبرار الأطهار ، وتحظوا بمجنات تجري من تحتها الأنهار .
جعلنى الله وإياكم ممن يعملون بما يعلمون .

(١٥) الصدق وجليل أثره

منزلة الصادق بين الناس . بيان أن الصدق يقود الى البر كما في الحديث الشريف . بيان أن الصدق في الآية الكريمة أوسع معنى من الصدق القولى فقط . بيان منزلة الصادقين وأنها تالية لمنازل النبيين . دليل ذلك . أدلة قرآنية على سمو الصدق وشمول معناه لكل خير . الانسلاخ عن الصدق يؤدي الى الخروج من حظيرة الأيمان ودليل ذلك من الكتاب . الانسلاخ عن الصدق من أشنع أنواع الظلم ودليل ذلك من الكتاب . الصدق مع الناس وما يذتجه من الثقة بصاحبه والركون اليه . طريق النجاح لا يتطلب من المرء إلا الاعتزاز بالشرف والرغبة فى الصدق والحرص عليه .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » :
... خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وفضلته على سائر المخلوقات . وميزه بالعقل الذى يعرف به الضار من النافع . وأوجب عليه أن يكون صادقا في أقواله حميداً في أفعاله . لينتظم مع الناس أمره . ويتم مع الخلق تعاونه . ورتب على الصدق ثوابه الجزيل ، وعلى الكذب عذابه الويل : وجعل للصادق منزلة ومكانة ، وللكاذب مذلة ومهانة : لأن الصدق يعنى صاحبه على الناس جميعاً .

فيجعله موضع ثقهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً إليهم يحترم الكلامه عند حكامهم . مقبول الشهادة عند قضائهم ، لهذا أمرنا به الرسول الكريم ﷺ كما أمرنا القرآن .

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . وقال رسول الله ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم . « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر . وإن البر يهدي إلى الجنة . وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

فالصدق يقود صاحبه الى البر الذي منه الاتصاف بصفات الكمال . والتوسع في فعل الخير . وامتنال أوامر الدين . واجتناب نواهيه . ومتى بلغ المرء هذه المنزلة فقد رضى الله عنه وجعله أهلاً لدار كرامته مصداقاً لقوله تعالى « إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وليس الصدق في الآية الكريمة المتقدمة هو الاخبار عن الشيء على ما هو عليه — بل هو أوسع من ذلك وأشمل . وهو الوفاء لله بما كلف به العبد من الأمور ، والاتصاف بكل صفات الخير التي تقوم عليها الأخلاق والمعاملات

قال الله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه . ومنهم من ينتظر . وما بدلوا تبديلاً . ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً »

فالصادق في دين الله هو من أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله

حدث لم يكذب ، وإذا اؤتمن لم يخن ، وإذا حكم لم يظلم ، وإذا قدر عفا . إلا
إذا أضر العفر حتماً من حقوق الله : والصادق في دين الله هو الذي يقنع بما
قسمه له الله ، ولا يطمع في مال غيره ، عالماً أن من وراء الدنيا حياةً آخرويةً
يحاسب فيها المرء على ما جنت يده . فمن صدق مع الله - ولا يكون صادقاً إلا
بما كلمه به الشرع - كان من المؤمنين في المنزلة العليا .

وقد عد الله تعالى الصادقين من الطبقات الممتازة يوم القيامة ، حيث جعل
الطائعين معهم ، إذ يقول : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
ذلك الفضل من الله . وكفى بالله عليماً » .

بل إنك لتراه جل وعلا في هذه الآية الكريمة جعل درجة الصديقين
تالية لدرجة النبيين تعظيماً لصدقهم ، وإعلاماً لشرفهم : وإن الله تعالى إذا أثنى
على شيء وصفه بالصدق . فقد قل : « إن المتقين في جنات ونهر ، في مقعد
صدق عند مليك مقتدر » .

وفي ثنائه على إسماعيل عليه السلام قال : « واذكر في الكتاب إسماعيل
إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » .

وفي ثنائه على إدريس عليه السلام قال : « واذكر في الكتاب إدريس
إنه كان صديقاً نبياً ، ورفعناه مكاناً عليماً » .

وقال في مريم ابنة عمران : « وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين »

ولما أثنى الله تعالى على الصديق والصادق ، جعل الكذب من الصفات

التي لا تجتمع مع الايمان فقال : « إنا ينزري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » كما جعله من أشنع أنواع الظلم : فقال : « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام . والله لا يهدي القاطنين » .

وكما يجب الصدق مع الله بالوفاء بما التزمناه ، يجب الصدق مع الناس في المعاملة والمحادثة ، والقول والفعل . والأخذ والاعطاء ، بحيث يكون المؤمن صورة للصدق . موثوقاً به إن قال أو فعل . فإن راوغ وكذب فقد التحق بالمنافقين .

فاذا كنت تود أن تكون ناجحاً في عملك . متقدماً في حياتك ، نافعاً لنفسك وللمن حولك ولأمتك . فطريق النجاة والفلاح والنجاح أمامك مفتوح على مصراعيه ، لا يتطلب منك الا اعتزازاً بالشرف ورغبة في الصدق وحرصاً عليه . فالزم الصدق في جميع أقوالك وأفعالك وفي كل أحوالك ، واعلم أن ذلك يحتاج منك الى شجاعة وصبر على المسكاره ورياضة نفس : فقد يعرض لك من المواقف ما تظن الصدق فيه ضاراً والكذب نافعاً . والأمر في الواقع على خلاف ما ظننت : فإن الصدق « وإن اقتضى ألماً في بعض الأوقات » محمود العاقبة . جليل الأثر على كل حال : والمتطلع الى المعالي الراغب في رضوان الله لا يضيره أن يصاب بألم في سبيل الصدق مادام ذلك سبيل السكال ، وطريق الحظوة بالثواب الجزيل : فقد قيل : إصبر على الحق وإن غلبت عليه : وتسكب الباطل وإن غلبت به . فلأن تموت بحق خير من أن تعيش بباطل .

جعلنا الله من الأوفياء الصادقين مع الله ومع عباده ومع أنفسنا حتى ننال ما أعد لهم من عز وكرامة يوم لا تغني نفس عن نفس شيئاً والأمر يومئذ لله .

(١٦) الكذب وأخطاره

الكذب أصل كل شر ومفتاح كل إثم . تعريف الكذب . استتهادات دينية ومأثورة تبين قبح الكذب وذمه . شيوع الكذب في الأمة يقوض بنيانها ويهدد أركانها ويعرضها للفناء والدمار : شيوع الكذب في الأسرة . يوجب انحلالها وتفرق أجزائها . الكذب عام في الأقوال والأفعال وخصوصاً في معاملة الناس . الأسباب التي تدعو الى الكذب كثيرة وكلها محرمة شرعاً . الكذب له أشكال مختلفة وصور شتى ، التحذير من الكذب ، والحث على قول الصدق .

قال الله تعالى « إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

... الكذب أساس التضليل ، ومنبع الزور والبهتان . وسلم النصب والاحتيال ، وأصل كل شر . ومفتاح كل إثم ، لسوء عواقبه . وخبت نتائجه وقلبه للحقائق .

وهو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه : وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يدل على قبحه وذم فاعله . قال الله تعالى : ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام . لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم » .

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : « إياكم والكذب . فإن الكذب يهدي الى الفجور . وإن الفجور يهدي الى النار » .

وما زال الرجل يكذب ويتحرقى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .
وقال لقمان لابنه : إياك والكذب فإنه يفسد عليك دينك ، ويضع منزلتك
ويضيّع جاهك ، ولا يسمع أحد منك إذا حدثت ، ولا يصدقك إذا قلت ،
ولا خير لك في الحياة إذا كنت كذلك ، وأكبر من هذا مقت الله
وعقوبته في الآخرة .

وقال حاتم بن عاوان الأحمم : من ادعى أربعة بغير أربعة فهو كذاب :
من ادعى أنه يحب الله تعالى ولم يتورع عن محارمه فهو كذاب . ومن ادعى
حبه لرسوله ﷺ ولم يعمل بسنته فهو كذاب . ومن ادعى رغبته في الجنة
ولم يعمل ما يوصل إليها فهو كذاب . ومن ادعى أنه يخاف النار ولم يبتعد عما
يقرب إليها فهو كذاب .

وإنما كان الكذب أساس كل رذيلة وأصل كل بلاء وفساد لأنه يهدى
إلى الفجور . ويسوق إلى التمرّد على القوانين وهتك المحرمات ، فيختل سير
الأمور . ويتصدع بناء المجتمع .

ولو شاع الكذب في أمة فكذب الطبيب مثلاً في تشخيص المرض . أو
في وصف الدواء . وكذب المهندس في عمل ما وكل إليه من المرافق . وكذب
المعلم في ما أوجب على طلبته من المعارف وكذب المحامي في دفاعه عمن وكله .
وكذب التاجر والصانع والزارع والعالم والحاكم والعامل والموظف وكذب غير هؤلاء
من أفراد الأمة لتقوض بنيانها . وانهدت أركانها . وحل بها الدمار والفناء :
ويعتقد ما يكون فيها من الصدق يكون استعدادها للبقاء والكمال والرفق .
ولو شاع الكذب في أصغر الجماعات الإنسانية وهي الأسرة . فكذب

كفى من الزوجين صداقيه . وكذباً أولادهما . وكذب الأولاد بعضهم ببعضاً .
وكذبوا أبويهم . وكذب الخدم . لو كذب هؤلاء لما أمكن لواحد منهم أن
يقوم بما يجب عليه للآخرين . فتمنعوا الأسرة . وتفترق أجزؤها .

وليس الكذب هو الذي يستوجب غضب الله ورسوله والمقت والمثوبة
في الدار الآخرة . ليس هو ذلك بحسب . بل إن من عيار على أخيه في معاملة
وظلمه في قليل أو كثير ظالماً وعدواناً فقد باء بغضب الله ورسوله . ومن
استأجر أجيراً وطمع في شيء من أجره ، أو ماطله فيه بدون عذر ، فقد
استوجب غضب الله ورسوله . ومن شغل عاملاً زمناً أكثر مما جرت به العادة
بغير رضاه مستكثراً عليه أجره فقد استوجب غضب الله ورسوله . ومن طعن
على أخيه في دينه أو عرضة أو شرفه في غيبته أو حضوره ليحيط من كرامته
بين الناس فقد استوجب غضب الله ورسوله ، ومن شارك أحداً في تجارة أو
زراعة أو ماشية ولم يتحر العدل والأصاف في هذه الشراكة ، وناله من المنفعة
أكثر مما نال شريكه ظالماً فقد استوجب غضب الله ورسوله . ومن
ائتمنه أخوه على سر من أسرارهم فأفشاء وأذاعه فقد أثم واستوجب غضب الله
ورسوله . ومن أعان أحداً من الناس على آخر لجر ذرابة أو نسب ظالماً فقد
استهان بالدين واستوجب غضب الله ورسوله . ومن استشار أحداً وأشار
عليه بما يعتقد أنه مضر بمصلحة المستشير فقد استوجب غضب الله ورسوله .
ومن روج إشاعة كاذبة لغرض من أغراضه النفسية طمعاً في الحصول على منفعة
كأن يشير برفع ثمن تجارة أو محصول من المحاصيل الزراعية ليحمل الناس على
البيع أو الامتناع من البيع . فقد استوجب غضب الله ورسوله . ومن أخين

أحداً بأن آخر تكلم في حقه صادقاً أو كاذباً وهو يعرف أنه سيقرب على هذا
الاخبار عداً واختلاف بين الناس فقد استوجب غضب الله ورسوله ، ومن
وعد أحداً وعداً «ولا يكون الوعد إلا بالخير» وجب عليه أن يفي بوعدوه وإلا
كان كاذباً يستوجب غضب الله ورسوله ما لم يكن في عدم الوفاء ممدوراً .

فالسبب الذي تدعوا الى الكذب كثيرة جداً ، وكلها محرمة شرعاً .

والكذب له أشكال مختلفة ويتمثل في صور متنوعة : فللنفاق كاذب .
لأن ظاهره يخالف باطنه . والمتكبر كاذب ، لأنه يرى أن منزلته أعلى من منزلة
غيره ، والتمام كاذب ، لأنه يوغر الصدور ، ويحدث الشرور : والمتماق كاذب ،
لأنه يمدحك بما ليس فيك الحاجة في نفسه ، والفاسق كاذب ، لأنه كاذب في
دعوى الايمان ونقض ما شاهد الله عليه .

ومن الكذب المبالغة في القول مبالغة تجعل السامع يفهم أكثر من الحقيقة
كما إذا بالغ إنسان في وصف شيء بالعظيم حتى أفهم السامع أكثر من حقيقته
ليخدعه ويغشه : ومنه أن يحذف المتكلم بعض الحقيقة ويذكر بعضها ، إذا
كان ذكر ما حذف يجعل لما ذكره لوناً خاصاً ومعنى آخر : ومن الكذب ما يجر
اليه الملق ، من مدح الناس بما ليس فيهم طمعاً في الانتفاع منهم : ومنه ما يؤدي
اليه حب الظهور من ادعاء الإنسان لنفسه ما ليس فيه من صفات الكمال .

ومن مظاهر الكذب شهادة الزور أمام الحكام . وهو كذب شنيع يقضى
الى تضليل الحكام ، والحكم على البريء ، وإفلات المجرم من القصاص ، وضياع
الحقوق ، وتشجيع الظالمين وكثرة المجرمين .

ومن أشنع الكذب ، الكذب على الله في مناجاته . يقف الرجل بين

يدى ربه ويقول : إياك أعبد ، وإياك نستعين ، وهو كاذب في قوله . لأنه يلجأ في كل يوم وعند كل نازلة الى الناس ليستعين بهم على كشف الضر عنه ، ولأنه يعبد هواه قبل عبادته مولاه .

والرجل الذي يعنى الطفل ويحتمل عليه كذاب ، وكذلك الذي يخوف الطفل بالوهم الكاذب .

عن عبد الله بن عامر أنه قال : دعيتى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها ، تعال أعطك . فقال لها رسول الله ﷺ وما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أعطيه تمرآ . فقال لها رسول الله ﷺ : أما إنك لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة .

وكذلك يكذب من يتظاهر بأزيد مما أوتى ، ويستكثر بما ليس عنده . سواء أ كان ذلك ليمتجمل به أمام الناس ، أم ليغيب به أعداءه ، أو يدفع شماتتهم : فكل هذا ضرب من الكذب والزور ، والغش المحظور .

عن أسماء بنت أبي بكر أن امرأة قالت : يا رسول الله . إن لى جارة (تعنى ضربتها) هل على جناح إن تشبعت لها بما لم يعط زوجي ؟ (تعنى أنها تتظاهر بغير الواقع) . قال : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور .

وأخدع كاذب من يمسك (مسبحته) بيده ويطيل لحيته ويمشى في الطريق يحرك شفثيه ، ويمر على حبات المسبحة بأصبعيه ، ليخدع الناس ويوقع في وهمهم أنه صالح نقي ، يفعل ذلك لحاجة فى النفس يريد لها ، وللحصول على فريسة يصيدها .

فخذار حذار من الكاذب . ولا تعود لمانك إلا على قول الحق والصدق

فمن عود لسانه على الكذب فقد حرم خيراً كثيراً . وله في الآخرة عذاب
أليم : ومن عود لسانه على الصدق فقد اكتسب رضا الله والناس . وذلك
هو الفوز العظيم .

(٧) السخرية من الناس والاستهزاء بهم

بناء الدين على أساسين . الأول ما بين العبد ومولاه . والثاني ما بينه وبين
عباد الله . أثر هدم الناس للأساسين . وصف اجتماع الناس رجالاً ونساءً في
هذا الزمان . تساهل الناس في تنقيص بعضهم بعضاً حتى عميت بذلك البلوى .
استنهاض وإيقاظ ودليل ذلك من الكتاب . توصل الأخلاق الفاضلة لسعادة
الدنيا والآخرة . الإيمان الحقيقي لا يجتمع مع رذائل الأخلاق . جهل الناس
بالدين وعدم الحفاظ شجاعة . الترفع عن سافل الأخلاق من صفات العلماء ،
وأخلاق الأنبياء .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن
يكونوا خيراً منهم . ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن . ولا تمزوا
أنفسكم . ولا تتنازوا بالألقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان . ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون » .

... الدين الاسلامي نور وهداية ، يقوم بنيانه على أساسين عظيمين :

الأساس الأول : إصلاح العبد ما بينه وبين الله . ولا يتم هذا الأساس
إلا بالاخلاص فيما كلفه العبد من أوامر ونواه . فمن أصلح ما بينه وبين الله ،
أصلح الله ما بينه وبين الناس .

والأساس الثاني : قائم على إصلاح العبد ما بينه وبين الناس ، ولا يتم هذا الأساس إلا بالأخلاق الكريمة المحموده ، والفضائل النفسية التي يرتضيها العقل ويدعو إليها الدين .

ونحن إذا نظرنا الى أنفسنا وجدنا هذين الأساسين عندنا مهتمدين . ونحن الذين هدمناهما بأيدينا ، فكأن جزاؤنا ما نقاسيه اليوم من شقاء وآلام .
نعم تهدم الأساس الأول فأصبحت العبادات مشوبة بأزياء والتديعة ، خالية من الخشوع والاخلاص ، وهذا أمر سرده الى الله ، فهو الذي يعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور .

نعم وقد تهدم الأساس الثاني ، فغلت الرذائل محل الفضائل . كأن الدين قد لبس كالفرو مقابلاً : إذ من أشرف الفضائل صيانة الألسنة عن السخرية والاستهزاء بعباد الله .

ولا كئنا لا نرى اجتماعاً إلا وهو يقوم على اغتياب الغير والعيب على الناس كأننا في عصمة من تلك العيوب . وكان الأجدد بنا ألا نشغل أنفسنا بنقد الناس ولاعد عيوبهم ولا بالبحث عن خفايا هذه العيوب . فان ذلك مع مخالفته لروح الدين ممقوت في نظر المروءة والعقل .

والواجب على كل حريص على دينه وأخلاقه أن يشتغل باصلاح عيوب نفسه حتى يبلغ منازل الأبرار الأطهار .

إن الأخلاق الفاضلة سبل من سبل الدين ، كما أن تقيضها سبل من سبل الضلال ، وأهمها كنف الأذى ، والقيام على تهذيب النفوس وتطهيرها من شتى النقائص .

ولقد فشت خلال في المسلمين ينقر منها الدين وتترا منها الفضيلة :
والناس يتساهلون في أمرها ويحسبون أنها هينة مع أنها محبطة للعامل . ولا سيما
العيب على الناس والسخرية بهم ، فإنها بخاصة آثام لا يغفرها الله لمرتكبها إلا
إذا تحلل ممن عابه أو سخر منه .

لا يسكاد مجتمع رجالان أو ثلاثة ، أو امرأتان أو ثلاث في مجلس أو
موقف ، إلا ويدور حديثهما أو حديثهم حول العيب والنقيصة في أحد إخوانهم
أو إحدى إخوانهن . كأن مجال الحديث قد سدت سبيله إلا عن هذا الباب
الموصل لأبواب الجحيم ، والعذاب الأليم : ودرج الناس على ذلك واستهانوا به
حتى أصبحت سيرهم مضمغة في أفواه بعضهم .

فمتى يفتق هؤلاء المسلمون ؟ ! ومتى يستبدلون بهذه الأخلاق كمالات
وفضائل ؟ ! لماذا لا يتواصون بالخير وفعل الاحسان ؟ ولماذا لا يتواصون بمعونة
بعضهم بعضاً ؟ والله تعالى يقسم أن النوع الاتساني كله في خسران إلا المؤمنين
الذين يتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر . قال تعالى : « والعصر إن
الانسان لاني خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق .
وتواصوا بالصبر » .

الأخلاق الفاضلة قيس من نور الله وهدايته ، فمن تخلق بها أوصلته الى
السعادة في الدنيا والآخرة : أما في الدنيا فان الناس مطبوعون على محبة صاحب
الخلق الحسن ، وأما في الآخرة فالنجاة من النار .

لا يكفي المسلم أن يؤدي الصلاة والصوم وغيرهما ويكون شريراً فاسد
الأخلاق عياباً للناس ، محبباً للموقعة فيهم أو يدينهم . فان المؤمن علابات : منها

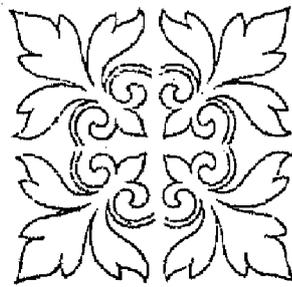
أن يكون رضى الأخلاق ، هيناً ليناً مشغولاً باصلاح نفسه عن تتبع عورات
الناس ، الى غير ذلك مما أوصى به الدين وحض عليه .

وما ساد المسلمون أهل الأرض في فجر الاسلام الا بقوة إيمانهم ، وحسن
أخلاقهم ، وها هو ذا رب العزة يقول لنبيه الكريم : « ولو كنت فظاً غليظ
القلب لا نفضوا من حولك » . فعرفه أن الفظاظة وخشونة الأخلاق منفرة
للطباع ، ومبعدة صاحبها عن قلوب الناس ومحبتهم .

أما نحن فنباهى بالغلظة والنظاظة . ونعدهما شجاعة ورجولة . وهما من
أخس الصفات وأبعدها عن الخير .

أما الذين في غير ذلة . أما التواضع المحمود . أما العفو عند القدرة . أما
الترفع عن سافل الأخلاق فهو من صفات العظماء وأخلاق الأنبياء ، ونحن مع
الأسف الشديد عنه بقاء .

نسأله تعالى أن يجعلنا متأدين بأدب الشريعة الغراء ، مبيدين عن أخلاق
السفهاء وأن يعيننا على مرضاته . فهو واسع العطاء ، سميع الدعاء .



(١٨) المعاول التي تهدم صرح الوحدة الدينية

هناية الاسلام بالحياة الاجتماعية . التعاون والتآلف والمحبة أسس قام عليها
الاسلام . تقويض هذه الدعام بالغيبة والنميمة والسخرية وما إليها . تعريف
السخرية بالناس وتشبيهه فاعلها ودليلها . تعريف الغيبة وسبب تسميتها بذلك وم
تكون . النميمة شر أنواع الايذاء . آثار السعاية والنميمة بين الأسر
والأحزاب والملوك . المغتاب آكل لحوم إخوانه الموتى ؛ ودليل ذلك من
الكتاب والسنة . المسلمون وحدة قائمة على تبادل المحبة لا يعز سلطانهم إلا بها .
السخرية والغيبة والنميمة وما شاكلها أهم عوامل الاخطا .

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

... الاسلام وهو دين الفطرة معنى بالحياة الاجتماعية ، وأن تكون
هذه الحياة قائمة على التواد والتحاب ؛ لهذا تراه يحض على الألفة . فيقول
صاحب الدعوة صلوات الله عليه : « لاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف . وخير
الناس أنفعهم للناس » كما يقول : « لايشكر الله من لايشكر الناس » .

والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تحض الانسانية جماء على التعاون
والسلام : قال الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » وقال عز
من قائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » حتى
لقد قال : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

كل هذا يبين للانسان وسببه الدين ورغبته في أن يعيش الناس في رثام
وتآلف ومحبة .

وإذا كانت هذه هي مقاصد الدين الحنيف كان جليساً أن من يعمل على
إفساد هذه المبادئ ، وإحلال الكراهية محل المحبة ، والشقاق محل الوفاق ،
والتفكك محل الارتباط . من يعمل هذا يكون عاملاً على هدم أسس الاجتماع :
لهذا عني الاسلام بتقبيح العيوب التي توصل الى هذه النتائج اليئسة ،
وبيان خطرها ، وسوء أثرها ، محذراً منها : لأنها معول يهدم صلات
المحبة بين الناس .

فهي عن السخرية بالآخرين رجالاً ونساء فقال : « يا أيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن
يكن خيراً منهن » .

والسخرية هي الاستهزاء بالغير وإظهار الاحتقار به : ولم يكتف جل
شأنه بالإنهى المجرد . بل ضمن النهي نوعاً من التوبيخ وقال لاسخر : ما يدريك
أن يسكون من تسخر منه أفضل منك عند الله : فكان استهزاؤك بخلق الله
سوء أدب مع الله ! فضلاً عن دلالتها على خسة نفسك ، وسوء خلقك : إذ أن
هذا سيجر الى القطيعة والشحناء . عكس ما تحض عليه الشريعة الغراء .

ومن هذه العيوب الغيبة : وهي ذكرك أخاك بما يكره . وسميت غيبة لأنها
في الغالب تكون في غيبة من تغتابه : وتسكون بالقول والاشارة والتحصيل .
فكل ما صدر عن الانسان مقصود به الخط من مكانة الآخر أو إغاظته فهو
غيبة . حتى ولو كانت العيوب التي يغتابه بها موجودة فيه . فإذا لاقاه بها في
وجهه فهو بهتان وإخجال .

والغيبية من أقبح العيوب التي تدل على حقارة فاعلمها وخلوه من أدب الدين والدنيا ، وبعبارة عن المروءة : وهي كذلك توجب القطيعة كالسخرية - وتؤدي إلى هدم دعائم الألفة بين الناس .

أما النجاسة وإن كانت نتيجتها نتيجة السخرية والغيبة ، تلك النتيجة التي هي القطيعة وإفساد القلوب ، إلا أنها شر أنواع الأيذاء ، لأنها تعتمد على تزويق الحديث المختلق وإلباسه ثوباً منمنماً بديعاً في الظاهر ، ولكنه مطوى على شر مستطير ، وبلاء كبير .

وتسمى النجاسة أيضاً وشاية « من وشيت الثوب جملته وزخرفته » ذلك أن النمام والواشي في سعايته في إفساد القلوب المؤتلمة بما يختلفه من الأكاذيب يجهد أن يجعل كلامه مرضوفاً منقلاً لا بساً ما يشبه ثوب الصدق ، فما يزال يدأب على عماله حتى يترك السديقين الحميمين - عدوين لدودين .

وربما كانت النجاسة سبباً في إثارة الحروب وسفك الدماء كما كان يحصل بين الناس ، وكما هو حاصل في عصرنا هذا : وأنت إذا بحثت عن أسباب الخلافات المستحكمة بين بعض الأسر وبعض ، أو بين الأحزاب وبعض ، أو بين الشعوب وبعض لو بحثت لوجدت أن النجاسة والسعاية هي أصل هذا البلاء ، وجرثومة ذلك الداء : فنفر منهما الشارع الحكيم ، وجعل المغتاب آكلاً لحوم الموتى من آدميين الأمر الذي تشمئز منه النفوس ، وتستبشع الفطرة السليمة : قال تعالى : « ولا يمتب بعضكم بعضاً . يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه . واتقوا الله . إن الله تراب رحيم . »

فكل ما فرق بين القلوب المؤتلمة . وكل ما وصل إلى العداوة والبغضاء والشحناء - كل هذا تقويض لدعائم الدين ، وعمل ضار بالمسلمين .

فالمسامون وحدة قائمة على تبادل المحبة ، ولا يتحقق فيها الايمان الصحيح إلا بهذه المحبة . ولا يدخلون الجنة إلا بهذه المحبة ، ولا يعلم شأنهم ولا يميز سلطانهم إلا بهذه المحبة .

فالمحبة قلب تدور عليه رحي حياة المساميين قاطبة : يقول الرسول الكريم ﷺ « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولن تؤمنوا حتى تحابوا » .

وما دامت هذه النقائص - وهي السخرية ، والغيبة ، والتمبئة - وما إليها موجودة في كثير من الناس فهي من أكبر عوامل الأخطاط . فمن حازبها فقد خدع الاسلام وأرجع اليه بهاءه وسلطانه ، ومن عمل على تنميتها بين الناس فهو عدو للدين ، عدو للانسانية ، عدو لنفسه .

طير الله قلوبنا من هذه الأوباء ، وأجزل لنا برضوانه المثوبة والجزاء .

(١٩) المذكر السيء وجزاء أهله

مضمون الآية الكريمة وبيان أنها كفيلة بجمع الفضائل . والبعد عن الرذائل . المذكر السيء في جمع الدنيا وما يستلزمه من حيل ودهاء وعاقبة صاحبه . المذكر السيء في إيذاء الناس وعمل الخيلة في ذلك وجزاء صاحبه دنيا وأخرى . ما يخفى على الناس لا يخفى على الله . ما يجب أن يكون عليه المؤمنون وجزاءؤهم عند ربهم . الما كرون مكر السوء وجزاءؤهم عند ربهم . الخبث والحقد والحسد شعاب من المذكر السيء وهو على الجملة نفاق في صدد شتى . إرشاد عام لطريق النجاة والسلامة .

قال الله تعالى : « ولا يحيق المذكر السيء إلا بأهله » .

... هذه آية كريمة من كتاب الله تعالى . جمعت من الحكمة ملا تحيط

به الأفهام . بل إنها لتجتمع الأخلاق الفاضلة كلها . وتنتهي عن أمهات الرذائل كلها وتطهر القلوب من أدرانها ، فيصير بها العبد المنتدب لمعناها والواقف عند حدودها من المفالحين .

ذلك لأن الانسان في هذه الحياة الدنيا كثيراً ما يتخذ زخارفها ، وكثيراً ما يعتلى قلبه بجمعها . فاذا تمكنت هذه الرغبات من نفسه أخذ يحوط للوصول إليها .

وقد يفكر في أسباب خفية لا يقرها الدين ، ولا ترضاها الأخلاق الفاضلة التي يحث عليها الدين - فيسكون نصيب ذلك الحتم الطامع أن يهوى بالخسران المبين . لأنه مكر مكرأ سيئاً فحاق به ذلك الجزاء المبين .

أما إذا سار في الحياة على هدى من الدين والأخلاق فإنه ليس محتاجاً الى مكر ولا دهاء ولا احتيال . بل هو يطلب الغاية الشريفة من طريقها الشريف فيكون جزاؤه أن ينال ما يرجو وهو من المفالحين .

قد يفكر الانسان في إيقاع غيره في المهالك . فيضمر الشر ويخفي مقصده السيء - ويعمل في الخفاء كيداً ومكرأ . فتكون النتيجة أن يوقعه الله في حبال كيد . وينقذ من كان يسعى في ضرره :

حكيم عادل من الله . فمن حفر لأخيه بئراً وقع فيها . ومن سمى لأخيه في موبقة مهلكة فهو ملاقيها .

وقد أخبر الله تعالى أن العمل السيء لا يحق عاقبته السيئة إلا بأهله . فهما ظن ابن آدم أن ما في قلبه خاف على الناس - وأن مكره ودهاءه كفيلا بنوال مقصوده فهو على ضلال مبين : لأن عالم الخفايا وما تكنه الطوايا مطلع

على ما في الضمائر — عليم بما في السرائر — يجازي المحسن إحساناً —
والمسيء ذلاً وهو انناً .

والمؤمنون يجب أن يكونوا أطهاراً قلباً ونية ، أبراراً عبادة وطاعة ، فلا
تنطوي قلوبهم إلا على حب الخير ، وعمل الخير ، وإيصال الخير ، لأهل الخير :
أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .
والماكرون مكر السوء ، المنطوية قلوبهم على الشر ، وحب الشر ، وعمل
الشر ، وإيصال الشر الى عباد الله . أولئك هم شر الناس حقاً ، لهم خزي في
الدنيا . ولهم في الآخرة عذاب أليم .

ومن قبيل المكر السيء الخبيث ، الذي هو إضمار الشر للناس مع إظهار
الخير لهم ، واستعمال الغش والخديعة في المعاملات ، فالذي يضمّر الشر لغيره أو
يغشه أو يخدعه ليس عنده شيء من حسن المعاملة للناس . ولا تصافه بهذه
الصفات الذميمة يسكون مكروهاً من جميعهم . ولا كرامة له عندهم .
ومن الخبيث الحقد ، وهو الاطواء على العداوة والبغضاء وإضمار المرء
الشر لمن عاداه إذا لم يتمكن من الانتقام منه ، فيخفي تلك الأحقاد الى وقت
إمكان الفرصة .

والحقد أثر من آثار الحسد ، لأن سببه في الغالب التنافس في شؤون
الدنيا وحب القهر والغلبة . وهو أثر من آثار النفس الأمارة بالسوء .
فالسكر في كل صورته من الأخلاق الذميمة التي لا يرضاهم لنفسه إلا من
فسد عقله ومرضت نفسه فأصبح من أعداء الفضيلة ، وأولياء الرذيلة .
المسكر في أي صورة من ذلك جريمة خلقية كبرى يجب أن يبتعد عنها
الناس ولا يقربوها ، لأنها شعاب من النفاق في صور مختلفة .

فإن أراد السلامة في الدنيا من عقاب الله العاجل ، وأراد النجاة في الأخرى من عذاب الله الآجل ، فليظهر قلبه من خبائث المنكر العبي . في معاملته مع الناس . ويمره بإيمان مصحوب بمكارم الأخلاق حتى يكون سعيد العيش في الدنيا . مرضياً عنه في الآخرة ، وذلك هو الفوز العظيم .
فحذوا بالله من شر النفوس التي لم تتأدب بالآداب الدينية ، ولم تهذبها التربية الأخلاقية ، ونسأله الهداية إلى الصراط المستقيم .

(٢٠) غل الصدور وآثاره

حد الغل وإلحاقه بالحسد وما يجره على المجتمع من الآثار السيئة .
استشهاد ديني لخطر الغلول القلبية . طهارة نفس الأبرار من هذه الصفة الذميمة
وامتنان الله تعالى بذلك عليهم . الغل وإفساده لنظم الحياة وأضراره الفادحة .
الغل مجلبة لشتى الجرائم ، تقرير وتوبيخ لذي الغل عن سوء خليقته وبيسان غفلته عن يوم الحساب والعقاب ، بيان أن الراحة والسعادة في التخلي عن هذه الرذيلة وآثارها والتخلي بمسكارم الأخلاق .

قال الله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رؤوف رحيم » .

... إن كبرى الرذائل وأعظم الأرجاس الصفة التي تسكن في النفوس

ككفون النار في الحجر فيترزعزع منها ما سكن ، وتثير انفعالها فتظهر آثارها
دماراً وشقاء على المجتمع .

هذه الصفة هي الغل ، الذي هو إضرار الكراهة والبغضاء للناس ، وهو
قريب من الحسد ، لأن سببه في الغالب (كما قدمنا) التنافس في شؤون الدنيا .
وحب القهر والغلبة . وهو من آثار النفس الأمارة بالسوء .

ولو لم يكن في ذم هذه الصفة إلا أن الله تعالى امتن بنزاعها من صدور
أهل نعمه إذ يقول في كتابه العزيز : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » لكان
هذا أكبر دليل على شنائها ، وعظم قبحها .

ولم تجر هذه الصفة على الناس إلا الويل والشقاء . وكم تلبدت في سماها
غيوم دمرت القصور العالية ، وأزهقت كثيراً من الأرواح البريئة الطاهرة .
اطمح بنظرك أيها العاقل الى آثارها المغضبة لله تعالى تر الرجل كالصل
ينفت السم لأخيه لوجود هذه الصفة في نفسه فيسعى في إيذانه وإلحاق الضرر
به بكل ما أوتي من قوة - وبوسائل يأبأها الشرع وتشمئز منها الانسانية .

وقد تؤدي هذه الصفة في الغالب الى إراقة الدماء وكثير من الجرائم
العظيمة التي يرتكبها المتصفون بهذه الصفة : « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون
ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » فيناقشهم فيما كسبته أيديهم . وكل
امرى ، بما كسب رهين .

إن الضغائن والأحقاد يترتب عليها الأذى والفساد . فيعمد كل لأخيه
بالمرصاد - ويبذل في ضرره ما لديه من الاجتهاد : ومتى عم الفساد في الأرض
وانتشر - فبشر الناس بداهية دهياء لا تبقى ولا تذر .

وفوق هذا فإن المشاحن والبغضاء توجبان التناحر والتقاطع . ويصيب
العباد بسببها الضنك والضيق والفقر المدقع . وهي من جنود الله تعالى يسلبها
على الطاغين والباغين ، حتى يسحقهم بها فيصيحوا عبرة للمناظرين ، ومثلاً في
الغابرين ، وعلى ما فعلوا نادمين . حيث لا ينفع الندم . بعد أن زلت التدم .
فالسلامة والراحة في سلامة الضمير . وخلود من الغل والحسد والحقد
والبغضاء ، إن في ذلك لآيات لقرم يتفكرون .
نسأله تعالى أن يطهر قلوبنا من الأحقاد والبغضاء لعباده . وأن يبصرنا
بعيوب أنفسنا . حتى نخرج من الدنيا طاهرين - ومن شرورها آمنين .

(٢١) الحسد

الناس بالنسبة لنعم الله على العباد قسمان : لا يكره نعم الله على عباد الله إلا شر
خلق الله ودليله . تعريف الحسد . علامات الحاسد الظاهرة والباطنة . الحسد ينتقم
من حاسده لأن الحسد داء الحسد . الحاسد يرى زوال النعم عن الناس راحة
لنفسه الخبيثة واطمئناناً لقلبه الأسود . موازنة بين الحاسد والكافر . الحاسد
يرى نفسه أحكم وأعدل من الله ولذلك يعيب على الله تقسيم الأرزاق . الحاسد
عدو لله . وعدو للناس . وعدو لنفسه . الحسد يسبب الغيظ . والغیظ يولد
القدر والخيانة والنهية وما إلى ذلك من الموبقات . علاج الحسد .

قال الله تعالى : « أَمْ يَقْسَمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ ؟ لَنْ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مِمَّا دَشِينَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ سَخِرِيًّا .
وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » .

• • • اعلموا أن نعم الله تعالى على خلقه لا تنقطع فإذا أعطى الله إنساناً من عباده نعمة ظاهرة كان الناس في هذه النعمة بين اثنين : الأول : رجل يسر بتلك النعمة ويفرح لها - ويود لو منح هو أيضاً نظيرها : وهذا مسلم مؤمن يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه .

والثاني : رجل يتألم لتلك النعمة ألماً لا يشفيه إلا زوالها عن صاحبها : وذلك هو الحسد الممقوت شرعاً : لأنه يدل على خسة النفس وشركين في القلب وإلا فما الذي يضره إذا أصبح الناس كلهم في سعادة وهناءة ؟ ! لأنهم إن أصبحوا كذلك - فلا أقل من أن يكفى شرهم إن لم ينله شيء من خيرهم : ولا يكره نعمة الله على عباده الله - إلا شر خلق الله .

قال رسول الله ﷺ : إن لنعم الله أعداءً فقليل : ومن هم : قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

والحسد هو تمنى زوال نعمة الغير . أو بعبارة أخرى هو تألم من لم يكمل إيمانه بما يراه عند غيره من الخير وما يجده فيه من الفضائل وتمنيه أن تزول تلك النعم عن غيره والاجتهاد في إزالتها إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وهو خلق بغيض وقبيح من كل أحد . مقصد الأعمال محبط للحسنات : قال رسول الله ﷺ : إياكم والحسد . فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وللعاسد علامات ظاهرة وباطنة : لأنك تراه معتلاً من غير علة ، مصفراً من غير مرض . ساكتاً ساهياً في غير تفكير . مظلم النفس . مظلم القلب . تحذنه نفسه أنه خير من الناس ولا خير فيه : وتحذنه أنه أذى الناس وهو

أغباهم : سلطت عليه وساوس الحسد فأشعات في نفسه نار الغيظ ونار الحقد .
وبذلك انتقم الله من حساد نعمته على الناس بهذا الانتقام العادل : ولذا قيل :
الحسد - داء الجسد .

الحاسد في ألم مستمر ، وفي غيظ مستمر . يستخط على الأقدار لأنها لم تسر
على وفق هواه . وما هواه إلا أن يجرد الناس من النعم - ولولم ينل منها شيئاً :
لأنه يرى في ألم الناس وفي بؤس الناس وفي شقاء الناس راحة لنفسه الخبيثة .
واطمنناً لتقلبه الأسود :

الحاسد أشد من الكافر مقتاً عند الله : لأن الكافر أنكر وجود الله -
أما الحاسد فقد رأى نفسه أحكم من الله ، وأعدل من الله ، ولم يرضه فعل الله ،
بل أسخطه وأهاج غضبه : فهو ثائر على الله لا يرضيه إلا تعطيل صفات الله -
وجريانها طبق رغبته وهواه .

الحاسد يقول بلسان حاله لربه : إنك في تصرفاتك غير حكيم -
وفي منحك النعم للناس لنفسى عذاب أليم .
فما بالك بمن هذا حاله !! أيعد من المؤمنين ؟ وهو أبعد عند الله
من الملحدين .

الحاسد عدو لله ، وعدو الناس ، وعدو لنفسه :

عدو لله - لأنه لم يرض بما قسم الله خلقه : وعدو للناس - لأنه يريد أن
يسلب عنهم النعم التي أعطاهم الله إياها : وعدو لنفسه - لأن الحسد يحز في نفسه
حزاً ينقص عليه معيشته . ويكدر عليه صفو حياته .

ومن كان عدواً لله ، وعدواً للناس ، وعدواً لنفسه ، فالقرب منه شر

مستطير ، وبلاء كبير ، واليعد عنه نجاته من ويل كثير :

وتلى العموم فالحسد سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة : وإن تمكن
من إنسان أفسد أخلاقه ، وأرقعه في هرة الأخلاق التدميمة . من كذب ،
وغدر ، وخيانة ، ونميمة ، متى وجد فيها ما ينال به من محسوده : فتراه لا ينفك
عن غيبة المحسود وعن الخوض في عرضه ، واتهامه بكل شأن اتهاها كاذباً :
لأنه يذتقم لنفسه المستعرة بهذا الأذي فيبوى نفسه النار ويفسد عليها آخرتها
ومن خسر الدنيا والآخرة فقد ضل ضالاً مدياً .

ويداوى الحاسد بما يداوى به الكافر - وذلك بتصحيح الايمان . بأن
يعتقد أن الله هو الذي يمنح عباده أرزاقهم ، ويفاضل بينهم وبين بعضهم
ويعتقد بأنه الحكم العدل يضع الأمور في موضعها لحكمة قد نعامها وقد يخفى
علينا مكانها فلا تهدي اليها . ويتعلم أن الله تعالى فضل بعض الناس على بعض
في الرزق . وفي الفضائل الأخلاقية . وأعطى كل إنسان من ذلك ما يستحق :
فيرضى بما قسمه الله له ولغيره ، ويتعلم أن يسر بسرور الناس المؤمنين - ويحزن
لحزن الناس المؤمنين . باعتبار أنه فرد من الأسرة الاسلامية : فانه اذا صح
إيمانه - وتعود هذه الأخلاق الفاضلة . زال أثر الحسد من نفسه . وأصبح
من المسلمين : فعوذ بالله من الحسد . ومن شر الحسد . ومن شر كل حاسد
اذا حسد : ونسأله تعالى أن يرزقنا القناعة والرضا بقضائه وقدره في الدنيا .
وأن يثيبنا في الآخرة بجنات النعيم .

